# فيروس كورونا
# -و-
# المسيح

جون بايبر

Originally published as ***Coronavirus and Christ***.
Copyright ©2020 by Desiring God Foundation.

# فيروس كورونا والمسيح

## جون بايبر

خدمة «**الصورة**» ©2020
الكنيسة الإنجيلية بسيدي بشر قبلي، الإسكندرية – مصر
www.elsoora.org

ترجمة: **أمير سامي**
مراجعة: **شيري عوض**
المُحرّر العام: **شريف عاطف فهيم**

جميع حقوق الطبع في اللغة العربية محفوظة للناشر وحده، ولا يجوز استخدام أو اقتباس أو طبع أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل من الأشكال بدون إذن خطّي مُسبَق من الناشر، وللناشر وحده حق إعادة الطبع.

**كل الاقتباسات من الكتاب المُقدَّس مأخوذة من ترجمة فاندايك – البُستاني، إلّا إذا ذُكِر غير ذلك.**

# خدمة الصورة

لمزيدٍ من المعلومات عن خدمة الصورة على مواقع التواصُل الاجتماعي فيسبوك، وتويتر وإنستجرام، وقناتنا على اليوتيوب، برجاء الضغط على الصور أدناه، أو زوروا موقعنا الإلكتروني elsoora.org

# جدول المحتويات


مناسبة الكتابة: فيروس كورونا ١

**الجزء الأوَّل: الإله المُتسلِّط على فيروس كورونا**

الفصل الأوَّل: هيَّا إلى الصخرة ٥

الفصل الثاني: أساسٌ متين ١٣

الفصل الثالث: هذه الصخرةُ بارَّة ١٩

الفصل الرابع: له سلطانٌ على الكلّ ٢٥

الفصل الخامس: حلاوةُ سلطانه ٣١

**الجزء الثاني: ماذا يفعل الله بواسطة فيروس كورونا؟**

أفكارٌ تمهيديَّة: رؤيةٌ وتوجيهُ أنظار ٣٩

الفصل السادس: إظهارُ البشاعة الأدبيَّة للخطيَّة ٤٣

الفصل السابع: إيقاعُ دينوناتٍ إلهيَّةٍ خاصَّة ٤٩

الفصل الثامن: نداءُ صحوةٍ للاستعداد للمجيء الثاني ٥٣

الفصل التاسع: إعادةُ تناغُمنا مع القيمة غير المحدودة للمسيح ٥٧

الفصل العاشر: إيجاد أعمالٍ حَسَنةٍ وسطَ الخطر ٦٥

الفصل الحادي عشر: خلخلَةُ جذورنا كي نذهب إلى الأمم ٧٣

صلاةٌ ختاميَّة ٧٧

الملاحظات ٨١

# مناسبة الكتابة: فيروس كورونا

ألَّفتُ هذا الكتاب الصغير في الأيَّام الأخيرة من شهر آذار/مارس من عام ٢٠٢٠م، في بدايات تفشِّي الوباء العالميِّ المعروف بِاسْم فيروس كورونا، أو الشهير باختصار «COVID-19» (مرض فيروس كورونا ٢٠١٩). يؤثِّر هذا الفيروس في الرئتَين، وفي أسوأ الحالات، يسبِّب الوفاة بفعل الاختناق.

ورد تقريرٌ عن أوَّل حالة وفاة بهذا الفيروس في الصين، في ١١ كانون الثاني/يناير ٢٠٢٠م. وبينما أكتبُ اليوم، هناك مئات الآلاف من حالات الإصابة حول العالم، وعشرات الآلاف من الوفيات. ولا يوجد علاج معروف له — حتَّى الآن.

في الوقت الذي تقرأ فيه هذه الكلمات، ربَّما صارت لديك معلوماتٌ أكثر منِّي عن كيفية تطوُّر الأحداث. لذلك، لا داعي للخوض في تفاصيل الإجراءات التي تُتَّخذ لإبطاء انتشار الفيروس، أو الخسائر الاقتصاديَّة التي أدَّى إليها هذا. كما أنَّ الاختلاطَ الاجتماعيَّ والسفر، علاوةً على المؤتمرات، والتجمُّعات الكنسيَّة، والمسارح، والمطاعم، وكذلك الأحداث الرياضيَّة، والشركات والأعمال — على وشك التوقُّف التامّ.

لا يُعدُّ هذا أمرًا غير مسبوق — سواءٌ على الصعيد العالميِّ أم في أمريكا. فبسبب وباء الإنفلونزا العالميِّ[1] الذي انتشر في عام ١٩١٨م (بحسب تقديرات مراكز مكافحة الأمراض السارية)، تُوُفِّيَ خمسون مليون شخص حول العالم،[2] من بينهم أكثر من خمس مئة ألف شخص

مـن الولايـات المتَّحـدة. كان النـاس يشـعرون بأعـراض المـرض في الصبـاح، ويموتـون بحلـول المسـاء. كانـت الجثامـين تؤخَـذ مـن الشرفـات الأماميَّـة للمنـازل، وتُنقَـل إلى قبـور حفرتهـا الجرَّافـات. وقـد أُطلِـق الرصـاص ذات مـرَّة عـلى أحـد الأشـخاص لعـدم ارتدائـه قناعًـا واقيًـا. أُغلِقـت المـدارس، وبـدأ الخـدَّام ورعـاة الكنائـس يتحدَّثـون بشـأن معركـة هرمجـدُّون.

قطعًـا، لا تُثبِـت السـوابق شـيئًا. فالمـاضي هـو أشـبه بتحذيـر، وليـس قَـدَرًا محتومًـا. ورغـم ذلـك، فإنَّنـا نشـعر في هـذا الوقـت بهشاشـة هيئـة هـذا العـالم. فالأساسـات التـي كانـت تبـدو متينـة آخـذةٌ بالاهتزاز. والسـؤال الـذي ينبغـي أن نطرحـه الآن هـو: هـل تقـفُ أقدامنـا عـلى صخـرة — صخـرةٍ لا يمكـن أن تتزعـزعَ بتاتًـا؟

# الجزء الأوَّل:

# الإله المُتسلِّط
# على
# فيروس كورونا

# الفصل الأوَّل:
# هيَّا إلى الصخرة

ما دفعني إلى الكتابة هو لأقول إنَّ الأرقامَ والاحتمالاتِ والنسبَ المئويَّةَ أساسٌ هشٌّ جدًّا لا يصلح أن نضعَ رجاءَنا عليه. هناك احتمالات من قبيل ٣٪ في مقابل ١٠٪، أو الشباب في مقابل كبار السِّنّ، أو ضعف الصحَّة في مقابل عدم وجود تاريخ مرضيّ، أو المناطق الريفيَّة في مقابل المناطق الحضريَّة، أو العزل الذاتيِّ في مقابل الزيارات الاجتماعيَّة للأصدقاء في المنزل. لا يمدُّنا هذا التطلُّع إلى النسب المئويَّة والاحتمالات بالرجاء. وليس هذا موضعًا ثابتًا يمكننا الوقوف عليه.

هناك طريقٌ أفضل، وموضعٌ أفضلُ بإمكاننا الوقوف عليه: صخرةُ يقينٍ بدلَ رمال الاحتمالات.

## عندما حلَّ السرطان

أتذكَّر أنَّني تلقَّيتُ في ٢١ كانون الأوَّل/ديسمبر من عام ٢٠٠٥م خبرَ تشخيص إصابتي بسرطان البروستاتا. وطَوال أسابيعَ عدَّة تلت ذلك، كانت الأحاديث كلُّها تدور حول الاحتمالات والنسب المئويَّة، من قبيل احتمالات الانتظار دون فعل شيء، واحتمالات تناوُل أدوية، واحتمالات العلاج التجانُسيّ،[٣] واحتمالات الجراحة الجذريَّة. كنتُ وزوجتي، نويل، نأخذ هذه الأرقام على مَحمَل الجِدّ. أمَّا في المساء، فكنَّا نبتسم أحدُنا للآخر ونفكِّر هكذا: **لا يكمُن رجاؤنا في الأرقام والاحتمالات، بل رجاؤنا هو في الله.**

لم نكُنْ نقصد بهذا أنَّ من المؤكَّد بنسبة ١٠٠٪ أنَّ الله سيشفيني، في حين ليس في وُسع الأطبَّاء سوى أن يقدِّموا لي بضعة أرقام واحتمالات، بل كانت الصخرة التي نتحدَّث بشأنها أفضل من ذلك؛ أجل، أفضل من الشفاء ذاته.

فحتَّى قبل أن أتلقَّى تلك المكالمة الهاتفيَّة من الطبيب التي أخبرني فيها بأنَّني مريض بالسرطان، كان الله قد ذكَّرني بطريقةٍ واضحةٍ ورائعة بالصخرة التي أقفُ عليها. فبعد انتهائي من فحصي السنويِّ المعتاد، نظرَ إليَّ طبيب المسالك البوليَّة وقال لي: «أودُّ أخذَ عيِّنة من الأنسجة للفحص».

قلتُ في نفسي: «حقًّا؟» وسألتُ الطبيب: «متى؟»

أجابني: «الآن، إذا كان لديك الوقت».

«سأخصِّص الوقت لذلك».

وبينما كان الطبيب ذاهبًا ليحضِّر الأدوات؛ وبينما كنتُ أغيِّر ثيابي لأرتديَ رداءَ المستشفى الأزرق المعتاد وغير الجذَّاب، أتيح لي بعض الوقت للتفكير في ما يحدث. «يعتقد الطبيب إذًا أنَّني قد أكون مريضًا بالسرطان». وبينما بدأ مستقبلي في هذا العالم يتغيَّر أمام عينيَّ، استحضر الله إلى ذهني شيئًا كنتُ قد قرأته في الآونة الأخيرة في الكتاب المقدَّس.

## تكلَّم الله

فلنكُنْ واضحين معًا. أنا لا أسمع أصواتًا، على الأقلِّ لم يحدث لي هذا من قبل. لكنْ تَكمُنُ جذور ثقتي في أنَّ الله يتكلَّم في حقيقةِ أنَّ الكتاب المقدَّس هو كلمته (سنستفيض في ذلك في الفصل التالي). فقد تكلَّم، مرَّة وإلى الأبد، ولا يزال يتكلَّم بواسطة كلمته. فحين يُفهَم الكتاب المقدَّس فهمًا صحيحًا، **فهو** صوت الله.

وإليكم ما تكلَّم به الله إليَّ في عيادة طبيب المسالك البوليَّة، بينما كنتُ أنتظر أخْذَ العيِّنة لفحص الأنسجة، والتي كان من شأنها أن تؤكِّد ما إذا كنت مريضًا بالسرطان أم لا: «يا جون بايبر، ليس هذا غضبًا؛ فسواء عشتَ أم متَّ، سوف تكون معي». هذه إعادة صياغة منِّي لكلام الله، لكنْ إليكم ما قاله بالفعل:

> «لأَنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْنَا لِلْغَضَبِ، بَلْ لاقْتِنَاءِ الْخَلاصِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي مَاتَ لأَجْلِنَا، حَتَّى إِذَا سَهِرْنَا أَوْ نِمْنَا نَحْيَا جَمِيعًا مَعَهُ» (١تسالونيكي ٥: ٩-١٠).

فسواء كنتُ مستيقظًا أم نائمًا — أي سواء عشتُ أم متُّ — سأكون حيًّا مع الله. كيف يمكن أن يكونَ هذا؟ أنا خاطئ، ولم يسبق لي أن عشتُ يومًا واحدًا من أيَّام حياتي — ولا يوم **واحد** — دون أن أوجَدَ دون مستوى مقاييس الله عن المحبَّة والقداسة. كيف يمكن إذًا أن يكونَ هذا؟ كيف يقدرُ الله أن يقول لي: «يا جون بايبر، ستكون معي، سواء عشتَ أم متَّ»؟

لم ينتظر الله أن أطرحَ هذا السؤال، فقد أجاب على الفور: هذا بسبب يسوع، يسوع وحده. فبسبب موته، لن يقع عليَّ غضبٌ. ليس هذا لأجل كمالي، بل لأنَّ خطاياي وذنوبي وعقوبتي قد وُضِعَتْ على مخلِّصي، يسوع المسيح. فقد مات «عنَّا». هذا ما تقوله كلمة الله. لذلك، أُعتِقتُ من الذنب، ومن العقوبة، وصرتُ آمنًا في نعمة هذا الإله الرحيم. هذا ما قاله الله: «سواء عشتَ أم متَّ، ستكون معي».

يختلف هذا تمامَ الاختلاف عن التعلُّق بأرقامٍ واحتمالاتٍ ونسبٍ مئويَّة، سواء من جهة مرض السرطان، أم فيروس كورونا. هذه صخرةٌ راسخةٌ تحت قدميَّ؛ ليس هذا أساسًا هشًّا أو رمالًا. وأودُّ أن تقفَ قدماك أنت أيضًا على هذه الصخرة. ولهذا ألَّفتُ هذا الكتاب.

## هل الصخرة صلبة فقط من جهة الحياة الآتية؟

لكـنْ، ليـس هـذا كلَّ شيء. ربَّمـا يقـرأ أحدهـم هـذا ويقـول: «إنَّ أمثالكـم مـن المتديِّنين لا يجـدون رجاءهـم إلَّا في الحيـاة الآتيـة. فـإذا ضمنـوا حياتهم مـا بعـد المـوت، يكونـون قـد نالـوا مـا يريـدون. لكـنَّ 'صـوت الله' هـذا الـذي يتحدَّثـون بشـأنه لا يقـدِّم تدخُّـلًا يُذكَـر في الحيـاة الحـاضرة. أعتقـد أنَّ الله بـدأ كلَّ شيء في الخلـق، وكتـب نهايـات سـعيدة، لكـنْ مـاذا عـمَّا بينهـما؟ أيـن هـو الآن، في الوقـت الحـاضر، في أثنـاء تفشِّي فـيروس كورونـا؟».

حسـنًا، أعتقـد أنَّنـي أُضفـي بالفعـل قيمـةً كـبرى عـلى الفـرح في محضر الله بعـد المـوت، لمليـارات لا تنتهـي مـن السـنوات، في مقابـل آلامٍ ومعانـاةٍ حـاضرة لنَقُـل إنَّهـا لا تنتهـي. يبـدو هـذا معقـولًا ومقبـولًا عنـدي. لكـنَّ الصخـرة التـي أقـف عليهـا (تلـك التـي أودُّ أن يكـون لـك نصيـبٌ معـي فيهـا) توجَـدُ في الحقيقـة تحـت قدمـيَّ **الآن**. نعـم، الآن!

فـإنَّ وبـاء فـيروس كورونـا منتـشرٌ حيـث أعيـش، بـل حيـث نعيـش جميعًـا. ولـو لم يُصِبْنـي فـيروس كورونـا، فقـد يصيبنـي السرطـان الـذي يتحـيَّن الفرصـةَ للظهـور مجـدَّدًا، أو الجلطـة الرئويَّـة التـي لا سـببَ لهـا، والتـي لا تـزال موجـودةً منـذ عـام ٢٠١٤م، وتنتظـر الفرصـة للتحـرُّك، والذهـاب إلى الدمـاغ، محوِّلـة إيَّـايَ إلى رجـلٍ بـلا عقـل، لـن يتمكَّـنَ مـن كتابـة جملـة واحـدة أخـرى لاحقًـا، أو حتَّـى مئـة بليَّـةٍ أخـرى مفاجئـة يمكـن أن تقـضي عـليَّ- أو عليـك — في أيَّـة لحظـة.

الصخـرة التـي أتحـدَّثُ بشـأنها موجـودةٌ تحـت قدمـيَّ الآن. **في وسـعي** أن أقـول إنَّ الصخـرة موجـودةٌ تحـت قدمـيَّ الآن فقـط؛ لأنَّ الرجـاء مـا بعـد المـوت هـو رجـاءٌ **حـاضر**. صحيـحٌ أنَّ **موضـوع** الرجـاء نفسـه مسـتقبليٌّ، لكـنَّ **اختبـار** الرجـاء حـاضرٌ. وهـذا الاختبـار الحـاضرُ قـويٌّ.

إنَّ الرجـاء قـوَّةٌ حـاضرة؛ فهـو الـذي يمنـع النـاس مـن قتـل أنفسـهم — الآن. وهـو الـذي يسـاعدهم عـلى النهـوض مـن الفـراش والذهـاب إلى

العمل — الآن. وهو ما يعطي معنى للحياة اليوميَّة، حتَّى لو كانت حياة حبيسة، أو في حَجْر صحِّيّ، أو فُرِض عليها أن تلزم المنزل — الآن. وهو يحرِّرُ من أنانيَّة الخوف والجشع — الآن. وهو يؤيِّد المحبَّة والمجازفة والتضحية بالقوَّة — الآن.

لذا، توخَّ الحذرَ قبل أن تقلِّل من شأن الحياة الآتية. فربَّما يكون حاضرك حلوًا ومثمرًا حين تكون حياتك الآتية جميلةً ومضمونة.

## يدُه عاملةٌ في الفيروسات

هذا هو ما **في وسعي** أن أقوله دفاعًا عن كلمة الله الرائعة التي كلَّمني بها في عيادة طبيب المسالك البوليَّة: «إنْ عشتَ أو متَّ، ستكون معي». ويجعلُني مثل هذا الرجاء (بسبب موت المسيح وقيامته) أرغب في سَكْب حياتي من أجل خير الآخرين **الآن**، ولا سيَّما من أجل خيرهم الأبديّ، كما يحفِّزني ألَّا أضيع حياتي، ويزيل التردُّد، ويملأني بالغَيرة والحماسة كي أذيع عظمةَ يسوع المسيح، ويجعلني أرغب في أن أُنفِق وأُنفَق (٢كورنثوس ١٢: ١٥) كي آتيَ بأكبر عدد ممكن من البشر معي إلى الفرح الأبديّ.

لكن، مع أنَّ هذا هو ما **في وسعي** قوله، أمام اعتراض أحدهم قائلًا إنَّ إله بايبر متخصِّص فقط في الحياة الآتية، وليس في الحياة الحاضرة، فهو ليس الشيءَ الوحيدَ الذي يَلزَم قوله.

في حقيقة الأمر، ما أنا على وشك قوله على الأرجح سيجعل أحدهم يعترض، قائلًا: «يا للعجب! هذا تداخُلٌ زائدٌ عن الحدِّ لله في الحاضر. فقد انتقلتَ الآن من الحديث بشأن إله يُصلِح المستقبل فحسب، إلى إله يده عاملة في مسألة الفيروسات».

## ليس «أنا بخير» بل «أشعر بأنَّني بخير»

فلنصغ الأمرَ هكذا. عادةً ما كان الناس يسألونني قبل إصابتي بمرض السرطان: «كيف هي حالتك الصحِّيَّة؟» وكنتُ أجيب: «أنا بخير». لم أعُدْ أجيب بهذا اليوم، بل أقول الآن: «أشعر بأنَّني بخير». وهناك فرقٌ ما بين الجوابَين. ففي اليوم الذي سبق ذهابي إلى ذلك الفحص السنويِّ للبروستاتا، كنت **أشعر** بأنَّني بخير، لكن في اليوم التالي، قيل لي إنَّني مريضٌ بالسرطان. بعبارة أخرى، **لم أكنْ** بخير. بل بينما أكتب هذه الكلمات، لا أعرف إذا كنتُ بخيرٍ أم لا. أشعر بأنَّني بحال جيِّدة، أفضل كثيرًا ممَّا أستحقّ. ربَّما أنا مريض الآن بالسرطان، أو بجلطةٍ دمويَّة، أو ربَّما بفيروس كورونا.

ماذا أحاول أن أقول هنا؟ أحاول أن أقول إنَّ السببَ الأساسيَّ الذي يدعونا إلى عدم قَول: «**أنا بخير**» هو أنَّ الله وحده يَعلَم ويقرِّر إذا كنتَ بخيرٍ أم لا — الآن. فأن تقول: «أنا بخير» بينما أنت **لا تعلَم** إذا كنت بخير أم لا؛ وبينما لا يمكنك **التحكُّم** في ما إذا كنت بخير أم لا، هو كأنَّك تقول: «غدًا، سأذهب إلى شيكاغو وأبدأ مشروعًا»، في حين أنت لا تدري حتَّى إذا كنتَ ستظلُّ على قيد الحياة حتَّى الغد أم لا، ناهيك عن تأسيس مشروع في شيكاغو.

إليك ما يقوله الكتاب المقدَّس عن هذا:

> «هَلُمَّ الآنَ أَيُّهَا الْقَائِلُونَ: نَذْهَبُ الْيَوْمَ أَوْ غَدًا إِلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ أَوْ تِلْكَ، وَهُنَاكَ نَصْرِفُ سَنَةً وَاحِدَةً وَنَتَّجِرُ وَنَرْبَحُ. أَنْتُمُ الَّذِينَ لاَ تَعْرِفُونَ أَمْرَ الْغَدِ! لأَنَّهُ مَا هِيَ حَيَاتُكُمْ؟ إِنَّهَا بُخَارٌ، يَظْهَرُ قَلِيلاً ثُمَّ يَضْمَحِلُّ. عِوَضَ أَنْ تَقُولُوا: إِنْ شَاءَ الرَّبُّ وَعِشْنَا نَفْعَلُ هَذَا أَوْ ذَاكَ» (يعقوب ٤: ١٣-١٥).

هـا قـد تبخَّـرتِ الآن فكـرةُ الإلـه المتداخـل فقـط في الحيـاة الآتيـة. هـذا هـو تأثـير سـطوع شـمس الحـقِّ الكتـابيِّ عـلى الضبـاب سريـع الـزوال لآرائنـا الشـخصيَّة.

## إذا قرَّر الرَّبّ، سنفعل هذا أو ذاك

إنَّ الصخـرة التـي أقـف عليهـا (والتـي أريـدك أن تقـف عليهـا أنـت أيضًـا) هـي صخـرة عمـل الله في العـالم **الآن، وإلى الأبـد**. يقـول الكتاب المقـدَّس: «إِنْ شَـاءَ الـرَّبُّ وَعِشْـنَا». يعنـي ذلـك تداخُـلًا في حيِّـز الحـاضر إلى أقـصى حـدّ. لا يتوقَّـف الأمـر عنـد: «سـواء عشـتَ أو مـتَّ، سـتكون مـع الله»؛ لكنَّـه يمتـدُّ أيضًـا إلى: « الله هـو مَـن سـيُقرِّر إذا كنـت سـتعيش أو سـتموت — الآن».

لا يقتـصر الأمـر عـلى الحيـاة أو المـوت، لكـنَّ الله أكـثر تداخُـلًا أيضًـا مـن ذلـك. «إِنْ شَـاءَ الـرَّبُّ ... نَفْعَـلُ هَـذَا أَوْ ذَاكَ». لا شيءَ مسـتثنى مـن «هـذا أو ذاك». فـإنَّ الله متداخـل تمامًـا في **هـذه** الصحَّـة، أو **ذاك** المـرض؛ في **هـذا** الانهيـار الاقتصـاديّ، أو **ذاك** التعـافي؛ في **هـذا** النَّفَـس، أو انقطاعـه.

يعنـي ذلـك أنَّنـي بينـما كنـتُ أنتظـر في عيـادة الطبيـب حتَّـى تصـل آلـة أخـذ عيِّنـة الأنسـجة، كان الله يملـك القـدرة أن يقـول لي (وهـذا مـا فعلـه لاحقًـا): «لا تخَـفْ. سـواء عشـتَ أم مـتَّ، سـتكون معـي. و**أيضًـا** في الوقـت الحـاليّ، بينـما أنـت حـيٌّ، لـن يحـدث لـك شيء — أيُّ شيء — لم أعيِّنـه! إذا قـرَّرتُ أن تعيـش، فسـوف تعيـش. وإذا قـرَّرتُ أن تمـوت، فسـوف تمـوت. وإلى أن تمـوتَ بقـرارٍ منِّـي، أنـا مَـن سـيُقرِّر إذا كنـتَ سـتفعل هـذا أم ذاك. هيَّـا ابـدأ العمـل».

هذه هي صخرتي — اليوم وغدًا وإلى الأبد.

## هيَّا إلى الصخرة

هـذا الكتـاب هـو دعـوةٌ مقدَّمـةٌ منِّـي كي تنضـم إليَّ للوقـوف عـلى تلـك الصخـرة المتينـة، يسـوع المسـيح. وأرجـو أن يتَّضـح لـك في مـا يـلي معنـى

ذلـك. إنَّ هـدفي هـو أن أبـيِّن لمـاذا يُعَـدُّ الله، في المسـيح، الصخـرة في هـذه اللحظـة مـن التاريـخ — في وسـط وبـاء فـيروس كورونـا — وكيـف يكـون وقوفنـا وثباتنـا في محبَّتـه القديـرة.

# الفصل الثاني:
# أساسٌ متين

لا يَهُمُّ كثيرًا رأيي بشأن فيروس كورونا، أو بشأن أيِّ شيء آخر، لكنَّ رأي الله هو الأهمُّ بما لا يُقاس. وهو لا يكتمُ عنَّا رأيَه بشأن هذا الأمر. فمن النادر أن نجدَ صفحةً في الكتاب المقدَّس لا علاقة لها بهذه الأزمة.

## متينٌ وحلو

إنَّ رأيي عشبٌ، أمَّا رأي الله فهو صوَّان، «الْعُشْبُ يَبِسَ وَزَهْرُهُ سَقَطَ، وَأَمَّا كَلِمَةُ الرَّبِّ فَتَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ» (١بطرس ١: ٢٤-٢٥). قال يسوع إنَّ كلام الله في الكتاب المقدَّس: «لَا يُمْكِنُ أَنْ يُنْقَضَ» (يوحنَّا ١٠: ٣٥). فما يقوله الله «حَقٌّ عَادِلَ كُلُّه» (مزمور ١٩: ٩)، ومن ثَمَّ، فإنَّ كلمته أساسٌ ثابتٌ إلى مدى الحياة — «إِلَى الدَّهْرِ أَسَّسْتَهَا [شهاداتك]» (مزمور ١١٩: ١٥٢). يشبه الإصغاء إلى الله والإيمان به بناءَ بيتٍ على الصخر، لا على الرمل (متَّى ٧: ٢٤).

فإنَّ كلمة الله هي ذلك الرأي الذي ينبغي أن توليه كلَّ انتباهك؛ فهو «عَجِيبُ الرَّأْيِ عَظِيمُ الْفَهْمِ» (إشعياء ٢٨: ٢٩)، و«لِفَهْمِهِ لا إِحْصَاءَ» (مزمور ١٤٧: ٥). وحين يعطي رأيًا بشأن فيروس كورونا، سيكون رأيًا راسخًا ودائمًا وغير متزعزع «أَمَّا مُؤَامَرَةُ الرَّبِّ فَإِلَى الأَبَدِ تَثْبُتُ» (مزمور ٣٣: ١١)، «اَللهِ طَرِيقُهُ كَامِلٌ» (٢صموئيل ٢٢: ٣١).

ومن ثَمَّ، فإنَّ كلمات الله حلوة وثمينة، «أَشْهَى مِنَ الذَّهَبِ ... وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَقَطْرِ الشِّهَادِ» (مزمور ١٩: ١٠). وهي في الحقيقة

تحملُ حلاوةَ الحياة الأبديَّة: «يَا رَبُّ إِلَى مَنْ نَذْهَبُ؟ كلامُ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ عِنْدَكَ» (يوحنَّا ٦: ٦٨).

ومن ثَمَّ، ففي أفضل الأوقات وأسوئها، تجلب كلمات الله سلامًا وفرحًا لا يتزَعْزَعان. حتمًا لا بُدَّ أن يكون الأمر كذلك. صلاتي هي أن يختبر كلُّ مَن يقرأ هذا الكتاب ما اختبره إرميا النبيّ: «وُجِدَ كَلامُكَ فَأَكَلْتُهُ فَكَانَ كَلامُكَ لِي لِلْفَرَحِ وَلِبَهْجَةِ قَلْبِي» (إرميا ١٥: ١٦).

لاحِظْ ذلك: لن تُفقَد حلاوة كلمة الله في تلك اللحظة الحاسمة من التاريخ، التي نختبر فيها عنايةً إلهيَّةً مُرَّة،[٤] إن تعلَّمنا سرَّ أن نكون «كَحَزَانَى وَنَحْنُ دَائِمًا فَرِحُونَ» (٢كورنثوس ٦: ١٠). سنرى لاحقًا وبالتفصيل ماهيَّة هذا السِّرّ، لكنْ إليكم تعريفَه الآن في جملةٍ واحدة: أنَّ سَّر «كَحَزَانَى وَنَحْنُ دَائِمًا فَرِحُونَ» هو **معرفة أنَّ السيادة نفسها التي كان في وسعها أن تمنعَ فيروس كورونا، لكنَّها لم تفعل، هي التي تساند النفس وتدعمها في أثناء الأزمة**. بل يفوق الأمر مجرَّد مساندة ودعم؛ إذ تزيِّن هذه السيادة النفسَ وتحلِّيها بالرجاء في أنَّ مقاصد الله طيِّبة وكريمة، حتَّى في الموت ذاته — لأولئك الذين يضعون ثقتهم فيه.

## كيف تعرف ذلك يقينًا؟

ومن ثَمَّ، فإنَّ السؤالَ الأكثر إلحاحًا الآن هو: كيف تعرف يقينًا أنَّ الكتاب المقدَّس هو كلمة الله؟ إجابتي المختَصَرة هي أنَّ مجدًا إلهيًّا يشعُّ من هذه الكلمة، ويلائم تمامًا أبعاد قالبٍ على شكل الله، موجودٍ داخل قلبك، تمامًا مثل التروس والعجلات، واليد والقفاز، والسمك والمياه، والأجنحة والهواء، والقطعة الأخيرة من لعبة التركيب (البازل).

يمكنني أن أتخيَّل الآن أحدهم يردُّ على إجابتي قائلًا: «تبدو هذه الإجابة نوعًا ما وجدانيَّة وغير موضوعيَّة. لماذا أجبتَ هكذا؟».

لأنَّه منذ خمسين عامًا؛ عندما كنتُ أصارع كي أعرفَ الأساسَ الذي ينبغي أن أبنيَ عليه حياتي، أدركتُ أنَّ الحُججَ الأكاديميَّة والتاريخيَّة لإثبات صحَّة الكتاب المقدَّس لن تُجدي نفعًا مع غالبيَّة العالم. لماذا؟ لأنَّه، مع أنَّها صحيحةٌ ونافعةٌ بدرجةٍ ما، فلا يستطيع أن يستوعبَها طفلٌ في سنِّ الثامنة، أو رجلٌ قرويٌّ غير متعلِّم تلتقيه في بقعةٍ نائيةٍ من أدغال جنوب المحيط الهادئ، أو شخصٌ عاديٌّ في الغرب لم ينَلْ سوى قسطٍ قليلٍ من التعليم. ورغم ذلك، فقد بدا لي واضحًا أنَّ الله أرادَ لهؤلاء الناس أن يسمعوا كلمة الله ويؤمنوا بها، دون أن يقفزوا في الظلام.

## الإيمانُ الكتابيُّ ليس قفزةً في الظلام

ليس التعريفُ الكتابيُّ للإيمان أنَّه قفزةٌ في الظلام، بل إنَّ هذا الإيمان معلَّلٌ ومبنيٌّ على الإثباتات والأدلة. فقد سُمِّي **إيمانًا** لا لأنَّه بلا أساس، بل لأنَّه يتضمَّنُ عنصرًا من الثقة. لم يَصِفْ يسوع **المؤمنين،** بل **غير** المؤمنين، بأنَّهم عميان (انظر متَّى ١٥: ١٤)؛ كونهم «مُبْصِرِينَ لا يُبْصِرُونَ» (متَّى ١٣: ١٣). يُبنى الإيمانُ الخلاصيُّ إذًا في كلمة الله على «الإبصار»، أي الرؤية الحقيقيَّة.

لكنْ ما الشيء الذي يبصرُه هذا الإيمان؟ هكذا يجيب الكتاب المقدَّس: يفعل الشيطان كلَّ ما في وسعه كي يُعميَ «أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لِئَلَّا تُضِيءَ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ صُورَةُ الله» (٢كورنثوس ٤: ٤).

بمعنى آخر، يشعُّ نورٌ روحيٌّ من نوعٍ ما بواسطة الإنجيل، الذي هو القصَّة الكتابيَّة للخلاص. وأيُّ نوع من النور هذا؟ هو نور «مَجْدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ». ليس هذا سحرًا، أو شيئًا روحانيًّا وجدانيًّا، يظهر لكنَّه غير موجود في الحقيقة، بل إنَّ يسوع المسيح هو ذلك الإله — الإنسان الذي يشعُّ مجدُه الأدبيُّ والروحيُّ والفائق

للطبيعة — أي جماله وقيمته وعظمته — بواسطة كلمة الله. هذا ما يؤكِّد صحَّة الكتاب المقدَّس ويُثبِتها.

## قالبٌ على شكل الله داخل روحك

لهذا قلتُ إنَّ مجدًا إلهيًّا يشعُّ من الكتاب المقدَّس، ويلائم تمامًا قالبًا على شكل الله موجودًا داخل قلبك. ومن ثَمَّ، هذا ما يؤكِّد صدق الكتاب المقدس وقيمته ويُثبِتُهما.

أجل، أومن بوجود قالب على شكل الله — أي نوعٍ من المعرفة غير المباشرة بالله — داخل كلِّ روح بشريَّة. ويعبِّر الكتاب المقدَّس عن هذا بقوله عن جميع البشر: «مَعْرِفَةُ اللهِ ظَاهِرَةٌ فِيهِمْ ... لأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا اللهَ لَمْ يُمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَإِلَهٍ» (رومية ١: ١٩، ٢١).

يعلِّمنا الكتاب المقدَّس بأنَّ هذه **المعرفة** الموجودة داخل كلِّ روح هي التي تجعلُنا مسؤولين جميعًا عن رؤية مجد الله في الطبيعة. كذلك أيضًا، نحن مسؤولون عن رؤية مجد الله في يسوع بواسطة كلمته. فالسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ الله (انظر مزمور ١٩: ١)، ونحن ملزَمون أن نرى هذا المجد، وأن نرفعَ شكرَنا. كذلك أيضًا، يُعلِن ابن الله مجد الله، ونحن مسؤولون عن رؤية هذا المجد، وتقديم العبادة. يقول الرسول يوحنَّا: «وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا» (يوحنَّا ١: ١٤).

هذا هو المجد الذي يُثبِت نفسه، والذي يشعُّ من كلمة الله، ويمدُّنا بأساسٍ معلَّلٍ ومبنيٍّ على إثباتاتٍ وأدلَّة للإيمان بأنَّ الكتاب المقدَّس هو مِن عند الله.

## التكنولوجيا في مقابل التذوُّق

تُشبِهُ وسيلةُ معرفتنا مجدَ الله في الكتاب المقدَّس وسيلةَ معرفتنا أنَّ العسلَ هو عسل. ربَّما يقول العلم والتكنولوجيا إنَّ إناءً ما يحتوي

على عسلٍ بسبب بعض التجارب الكيمياويَّة التي أُجريت عليه، تمامًا كما يستطيع دارسو الكتاب المقدَّس أن يقدِّموا حُججًا مقنعةً تؤيِّد الموثوقيَّة التاريخيَّة للكتاب المقدَّس. لكنْ ليس معظم الناس علماءَ أو دارسين أكاديميِّين؛ فإنَّنا نعلمُ أنَّ العسلَ عسلٌ لأنَّنا نتذوَّقه.

كذلك أيضًا، تَكمُن حلاوةٌ إلهيَّةٌ في مجد الله الظاهر في رسالة الكتاب المقدَّس. وهي تمسُّ جانبًا منَّا نعلمُ جيِّدًا أنَّ الله هو مَن وضعه فينا «مَا أَحْلَى قَوْلَكَ لِحَنَكِي! أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ لِفَمِي» (مزمور ١١٩: ١٠٣)؛ «ذُوقُوا وَانْظُرُوا مَا أَطْيَبَ الرَّبَّ!» (مزمور ٣٤: ٨). هذا إبصارٌ وتذوُّقٌ حقيقيَّان؛ فهو ليس إيمانًا تخيُّليًّا، بل إيمانٌ يبصرُ ويذوقُ ما هو موجودٌ في الحقيقة.

## نعم آمين لصخرة عزائنا

لذا، عندما يقول يسوع: «لا يُمْكِنُ أَنْ يُنْقَضَ الْمَكْتُوبُ» (يوحنَّا ١٠: ٣٥)؛ وعندما يقول الرسول بولس: «كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحى بِهِ مِنَ الله» (٢تيموثاوس ٣: ١٦)، وعندما يقول الرسول بطرس إنَّ كتبةَ الأسفار المقدَّسة كانوا «مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (٢بطرس ١: ٢١)، تقول قلوبُنا: **نعم آمين**. فقد ذُقْنا وأبصَرْنا، وصِرْنا نعرفُ يقينًا. وتقفُ هذه المعرفة على أساسٍ سليمٍ ومتين. لذلك نحن لا نقفزُ في الظلام.

ويتلامسُ كِيانُنا كلُّه مع كلمات الكتاب المقدَّس القائلة: «رَأْسُ كَلامِكَ حَقٌّ» (مزمور ١١٩: ١٦٠)؛ «إِلَى الأَبَدِ يَا رَبُّ كَلِمَتُكَ مُثَبَّتَةٌ فِي السَّمَاوَاتِ» (مزمور ١١٩: ٨٩)؛ «كُلُّ كَلِمَةٍ مِنَ الله نَقِيَّة» (أمثال ٣٠: ٥).

وعندما يحدث ذلك، يفيض علينا حقُّ الله كاملًا، ويؤثِّر في أعماقنا، حتَّى أمام فيروس كورونا. وهو يفيض علينا بعزاء لا مثيلَ له: «عِنْدَ كَثْرَةِ هُمُومِي فِي دَاخِلِي تَعْزِيَاتُكَ تُلَذِّذُ نَفْسِي» (مزمور ٩٤: ١٩)؛ «قَرِيبٌ هُوَ الرَّبُّ مِنَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ وَيُخَلِّصُ الْمُنْسَحِقِي الرُّوحِ. كَثِيرَةٌ هِيَ بَلايَا الصِّدِّيقِ وَمِنْ جَمِيعِهَا يُنَجِّيهِ الرَّبُّ» (مزمور ٣٤: ١٨-١٩).

لا يقـدر إنسـان أن يعـزِّي أرواحنـا في وسـط هـذا الوبـاء كـما يقـدرُ الله. فـإنَّ تعزياتـه لا تتزعـزع، مثـل صخـرةٍ عظيمـةٍ ومرتفعـةٍ وسـط بحـرٍ هائـج. وهـذه التعزيـات آتيـة مـن كلمتـه — مـن الكتـاب المقـدَّس.

# الفصل الثالث:
# هذه الصخرةُ بارَّة

إذا كان الله هـو صخرتَنـا، فـلا بُـدَّ إذًا أنَّـه بـارٌّ. فـإنَّ صخـرةً غـير بـارَّة هـي مجـرَّد سراب. وإنَّ الـشيء الـذي قـد يُزعزعـه فينـا وبـاءٌ عالمـيٌّ هـو ثقتنـا في بـرِّ الله، وقداسـته، وصلاحـه. لكـن، لـو لم يكـن الله بـارًّا وسـط كلِّ ذلـك، لـن تكـون لنـا صخـرة نقـف عليهـا.

لـذا يلـزمُ أن نسـأل: مـا معنـى قداسـة الله وبـرِّه وصلاحـه؟ فـإنْ لم نعـرف معنـى هـذه الصفـات، فكيـف سيتسـنَّى لنـا أن نعـرفَ إذا كان تفشِّي فـيروس كورونـا قـد فتَّتها وحطَّمها أم لا؟ أو، في المقابـل، كيـف سيتسـنَّى لنا أن نعـرفَ أنَّهـا هـي الأساسـات السرمديَّـة للصخـرة التـي تنقذنـا وتخلِّصنـا؟

سـنرى الآن أنَّ الكتـاب المقـدَّس لا يصـف قداسـة الله وبـرَّه وصلاحـه حاسـبًا إيَّاهـا صفـاتٍ متطابقـة، بـل بوصفهـا صفـاتٍ متشـابكةً ومتداخلـةً معًـا. لنبـدأ الآنَ بقداسـة الله. مـا المقصـود بقداسـة الله؟

## القيمة المتسامية وغير المحدودة

يحمـل جـذر الكلمـة التـي اسـتخدمها العهـد القديـم بمعنـى «قداسـة» معنـى الانفصـال، أيْ اختـلافَ شيء مـا وانفصالـه عـن كلِّ مـا هـو عـاديّ. وعنـد تطبيـق هـذا المعنـى عـلى الله، سـيدلُّ الانفصـال عـلى أنَّ الله يصنَّـف في فئـةٍ بمفـرده، أو في فئـةٍ فريـدةٍ مـن نوعهـا. فهـو نظـيرُ ألماسـةٍ فريـدة مـن نوعهـا، فائقـة القيمـة. نسـتطيع أن نسـتخدمَ كلمـة متسـامٍ أو متعـالٍ (Transcendent) لوصـف هـذا النـوع مـن الانفصـال الإلهـيّ؛ فهـو منفصـلٌ

في تفرُّد حتَّى إنَّه يتسامى فوقَ أيِّ شيء آخر، وهو فوق الكلّ، وأعلى قيمة من الكلّ.

عندما ضرب موسى الصخرة بدلَ أن يكلِّمها كما أوصاه الله، وبَّخه الله قائلًا: «لَمْ تُؤْمِنَا بِي **حَتَّى تُقَدِّسَانِي** أَمَامَ أَعْيُنِ بَنِي إِسْرَائِيل» (العدد ٢٠: ١٢). بمعنى آخر، لم يتعامل موسى مع الله على أنَّه شخصٌ استثنائيّ، وجديرٌ بالثقة على نحوٍ فائق، بل فقط على أنَّه مجرَّدُ سلطةٍ بشريَّة أخرى مثل أيَّة سلطةٍ أخرى، يمكن تجاهُلها.

وفي إشعياء ٨: ١٢-١٣، قال الله لإشعياء: «لا تَخَافُوا خَوْفَهُ [خوف هذا الشعب] وَلا تَرْهَبُوا. **قَدِّسُوا** رَبَّ الْجُنُودِ فَهُوَ خَوْفُكُمْ وَهُوَ رَهْبَتُكُمْ». بمعنى آخر، لا تضيفوا الله إلى مجموعة مخاوفكم العاديَّة، أو الأمور التي ترهبونها، بل تعاملوا معه على أنَّه نوعٌ منفصلٌ ومتفردٌ تمامًا — أي نوع متسامٍ- من الخوف والرهبة.

ومن ثَمَّ، فإنَّ قداسةَ الله هي تساميه غير المحدود، وقيمته غير المحدودة، التي تفوق كلَّ شيء آخر. فهو يصنَّف في فئة بمفرده، ما يعني أنَّه لا يعتمد في وجوده على أيِّ شيء آخر؛ لأنَّه ذاتيُّ الوجود. لذا، فهو لا يحتاج إلى شيء، ولا يعتمد على شيء. هو كامل، ولا ينقصُه شيء. ومن ثَمَّ، هو يمتلك القيمة الأعظم بصفته مصدرَ كلِّ حقيقةٍ وكلِّ قيمة.

## فوق الكلّ، لكنَّه ليس منعزلًا

لا يعني تعالي الله فوقَ كلِّ شيءٍ آخر أنَّه عقلٌ منعزل تمامًا، وخالٍ من المحبَّة. فإنَّ عقيدة الثالوث المهمَّة تُعَدُّ عقيدةً كتابيَّةً تمامًا. فالله موجودٌ في ثلاثة أقانيم إلهيَّة، وهؤلاء الثلاثة هم واحد، أيْ جوهرٌ إلهيٌّ واحد. هناك إلهٌ واحد، لا ثلاثة آلهة، إلَّا أنَّ هذا الإله الواحد موجودٌ في وَحدةٍ سرِّيَّةٍ وحقيقيَّة ما بين الآب والابن والروح القدس — كلٌّ منهم أبديٌّ وأزليّ (لا بداية له). وكلٌّ منهم هو الله الحقيقيّ.

لهذا فالقداسة — أيْ قيمة الله وعظمتُه المتساميَتَان — لا تعني أنَّه منعزلٌ بلا محبَّة في سموِّه غير المحدود؛ فالله الآب يعرفُ الابنَ ويحبُّه على نحوٍ كاملٍ وغير محدود (مرقس ١: ١١؛ ٩: ٧؛ كولوسِّي ١: ١٣)، والله الابن يعرفُ الآبَ ويحبُّه على نحوٍ كاملٍ وغير محدود (يوحنَّا ١٤: ٣١)، والروح القدس هو التعبير الكامل وغير المحدود عن معرفة الآب والابن ومحبَّتهما بعضهما لبعض.

وما أهمِّيَّةُ هذا؟ لأنَّ هذه الشركة الثالوثيَّة الكاملة أساسيَّةٌ لأجل كمال الله وتكامُله؛ فهي أساسيَّةٌ لأجل قيمته وجماله وعظمته المتسامية، أي أنَّها أساسيَّةٌ في قداسته.

## القداسةُ متشابكةٌ ومتداخلةٌ مع البرّ

هناك بُعدٌ مفقودٌ في ذلك الوصف لقداسة الله. يتكلَّم الكتاب المقدَّس عن قداسة الله ليس فقط من حيثُ تساميها، بل أيضًا من حيثُ البعدُ الأدبيُّ لها. أن يكون الله قدُّوسًا يعني ليس فقط أنَّه منفصلٌ ومتسامٍ، بل أيضًا أنَّه بارّ.

يفرضُ هذا سؤالًا ستكونُ له آثار عظيمة في نظرتنا إلى فيروس كورونا وعلاقته بالله: ما دام البرُّ يتضمَّن فعلَ الصواب؛ وما دامَ فعلُ الصواب يتضمَّن الامتثالَ لمقياسٍ معيَّن للاستقامة والصواب، فما المقياس الذي يخضع له برُّ الله؟

قبل الخلق، لم تكن هناك مقاييس خارج الله. لم يكن هناك شيءٌ خارج الله يمكن أن يخضعَ الله أو يَمتثِلَ له. فقبل الخلق، كان الله هو الحقيقة الوحيدة. عندما لا يوجد إذًا سوى الله وحده، فكيف يمكن أن تحدِّدَ الصوابَ الذي ينبغي أن يفعله الله؟ أي كيف يمكن أن تشملَ قداسةُ الله تساميَه وبرَّه أيضًا؟

الإجابة هي أنَّ مقياسَ برِّ الله هو الله ذاته. والمبدأُ الكتابيُّ الأساسيُّ هو أنَّ الله: «لَنْ يَقْدِرَ أَنْ يُنْكِرَ نَفْسَه» (٢تيموثاوس ٢: ١٣). أي لن يقدر الله أن يتصرَّفَ بطريقة تُنكِر قيمته وجماله وعظمته غير المحدودة. هذا هو مقياس الصواب عند الله.

يعني هذا أنَّ البُعدَ الأدبيَّ من قداسة الله — الذي هو برُّه — هو التزامه الذي لا يلين أن يتصرَّفَ بما يتَّفق مع قيمته وجماله وعظمته. فإنَّ كلَّ عاطفة وفكرة وكلمة وتصرُّفٍ يصدر عن الله، سيكون دائمًا متَّفقًا مع القيمة والجمال غير المحدَودين لكماله المتسامي. فلو حدثَ أن أنكرَ الله هذه القيمة، أو هذا الجمال، أو هذه العظمة، لما كان هذا صوابًا. حينئذ، سيفسدُ المقياسُ الأساسيُّ، ولن يكون بارًّا.

## البرُّ متشابكٌ ومتداخلٌ مع الصلاح

ليس صلاح الله متطابقًا مع قداسته، أو مع برِّه، لكنَّه متشابك ومتداخل معهما؛ لأنَّ قداستَه تفيضُ بصلاحٍ، وبرَّه هو الذي يوجِّه منحَه لهذا الصلاح. لا تتعارض هذه الصفات بتاتًا بعضها مع بعض.

فإنَّ صلاحَ الله هو مَيلُه لأن يكونَ سخيًّا، أي أن يفعلَ ما من شأنه أن يباركَ البشر. ويُشبه كمال الله المتسامي، أي قداسته، نبعًا فائضًا؛ لذلك هو يميل لأن يكونَ سخيًّا؛ فهو لا يحتاج إلى أحد، ومن ثَمَّ، لا يستغلُّ بتاتًا الآخرين كي يعوِّض نقصًا فيه. بل في المقابل، تميل طبيعة الله إلى العطاء، لا إلى الأخذ «وَلا يُخْدَمُ بِأَيَادِي النَّاسِ كَأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى شَيْءٍ إِذْ هُوَ يُعْطِي الْجَمِيعَ حَيَاةً وَنَفْسًا وَكُلَّ شَيْءٍ» (أعمال الرسل ١٧: ٢٥).

لكنَّ صلاحَ الله غير منفصل عن برِّه؛ فلا يمنَح الله صلاحَه على نحو من شأنه أن ينكر قيمتَه وجمالَه وعظمتَه غير المحدودة. ولذلك، يتضمَّن برُّ الله العقاب الأخير، كما يتضمَّن الصلاح أيضًا. فعندما يعاقب الله غير التائبين في الجحيم، فهو لا يمنحهم صلاحَه، لكنَّه لم

يتوقَّفْ بهذا عن أن يكونَ صالحًا؛ فقداسته وبرُّه هما اللذان يوجِّهان كيفيَّة مَنحِه لصلاحه.

لأجل ذلك، يفيض صلاح الله بصفةٍ خاصَّةٍ على خائفيه والذين يَحتَمون به «مَا أَعْظَمَ جُودَكَ الَّذِي ذَخَرْتَهُ **لِخَائِفِيكَ** وَفَعَلْتَهُ **لِلْمُتَّكِلِينَ عَلَيْكَ**» (مزمور ٣١: ١٩).

غير أنَّ هذا الإيمانَ وهذه المهابةَ لا **يَربَحان** صلاح الله؛ فالخطاة المحدودون والاعتماديُّون تمامًا، لا يقدرون أن يربحوا عن استحقاقٍ أيَّ شيء من الله. بل إنَّ صلاح الله من نحو الخطاة دائمًا مجَّانيٌّ ودون استحقاق. لماذا يميلُ الله إذًا إلى إظهار جوده الوافر نحو مَن يخافونه ويتَّكلون عليه؟ لأنَّ الإيمانَ والمهابة يُعلِنانِ قيمةَ الله وجمالَه وعظمتَه (رومية ٤: ٢٠). ومن ثَمَّ، فإنَّ برَّ الله يجعلُه يميلُ إلى التصديق على مثل هذه التوجُّهات التي تكرمه.

## ماذا إذًا عن فيروس كورونا؟

سنتحدَّث في الفصل التالي بشأن سيادة الله كلِّيَّة العلم، وكلِّيَّة التحكُّم فوق كلِّ شيء. لكنْ، سيمنعُنا ما تحدَّثنا به حتَّى الآن من القفز إلى استنتاج أنَّ يدَ الله المتداخلة والعاملة في فيروس كورونا تشكِّك في قداسته أو برِّه أو صلاحه. لن نكون بالسذاجة التي تجعلنا نربطُ الألمَ البشريَّ بافتقار الله إلى البرّ، أو نستنتجُ أنَّ الله توقَّف عن أن يكون قدُّوسًا أو صالحًا في إدارته لعالمه.

جميعنا خطاة، وليس هناك استثناءات. فقد استبدَلْنا جميعًا بمجد قيمة الله وجماله وعظمته أشياءَ نستمتعُ بها أكثر (رومية ١: ٢٣؛ ٣: ٢٣)، وهذه إهانة شائنةٌ لله، سواء شعرنا بذلك أم لا. ومن ثَمَّ، فإنَّنا نستحقُّ العقاب. وتجعلُنا إهانتنا هذه لمجد الله نستحقُّ عن جدارةٍ غضبَه المقدَّس. يقول الكتاب المقدَّس إنَّنا بِالطَّبِيعَةِ أَبناءُ الْغَضَب

(انظر أفسس ٢: ٣)، ما يعني أنَّ الله سيكون قدُّوسًا وبارًّا إذا ما حجب صلاحه عنَّا.

ومن ثَمَّ، لا يدلُّ فيروس كورونا على أيِّ غيابِ القداسة أو البرِّ أو الصلاح عن الله. صخرتُنا، في هذه الأيَّام العصيبة والمضطربة، ليسَتْ دون برٍّ أو قداسة. فإنَّه «لَيْسَ قُدُّوسٌ مِثْلَ الرَّبِّ ... وَلَيْسَ صَخْرَةٌ مِثْلَ إِلَهِنَا» (١صموئيل ٢: ٢). ليسَتْ صخرتُنا وهمًا أو سرابًا.

# الفصل الرابع:
# له سلطانٌ على الكلّ

استخدمتُ في الفصل الثاني عبارة «عنايةٌ إلهيَّةٌ مُـرَّة». هذا هو فيروس كورونا. لا يُعَدُّ وصفُنا لبعض أعمال الله بأنَّها مُـرَّة تجديفًا؛ فقد قالت نعمي، حماة راعوث، التي فقدت زوجها وابنَيها وإحدى كنَّتَيها في أثناء المجاعة والاغتراب الكلمات الآتية:

> «لأَنَّ الْقَدِيرَ قَدْ أَمَرَّنِي جِدًّا. إِنِّي ذَهَبْتُ مُمْتَلِئَةً وَأَرْجَعَنِيَ الرَّبُّ فَارِغَةً ... وَالرَّبُّ قَدْ أَذَلَّنِي وَالْقَدِيرُ قَدْ كَسَّرَنِي؟ (راعوث ١: ٢٠-٢١).

لم تكن نعمي تكذب، أو تبالغ، أو تلقي بالاتِّهامات. كانت هذه هي الحقيقة البسيطة والرهيبة. ليس تعبير «العناية المُـرَّة» انتقاصًا من شأن طرق الله، بل هو وصفٌ لها.

كذلك، ذكرتُ في الفصل الثاني أنَّ حلاوة كلمة الله لن تتناقصَ وسط هذه العناية المـرَّة — إذا تعلَّمنا سرَّ أن نكون «كَحَزَانَى وَنَحْنُ دَائِمًا فَرِحُونَ» (٢كورنثوس ٦: ١٠)؛ وقلت إنَّنا سنعود لاحقًا إلى هذا السرِّ، ثمَّ لخَّصته في جملةٍ واحدة على النحو الآتي: **السيادة نفسها التي كان في وسعها أن تمنعَ فيروس كورونا، لكنَّها لم تفعل، هي التي تساند النفس وتدعمها في أثناء الأزمة**. ومعرفتنا لهذا هي ما يصنعُ الفارق. أهذا صحيح إذًا؟

## كلَّ ما شاءَ الربُّ صنع

إنَّ هـدفي في هـذا الفصـل، وفي الفصـل التـالي، أنْ أُظهِـرَ أنَّ الله ضابـطُ الـكلِّ وكلِّيُّ الحكمـة. فـإنَّ لـه سـلطانًا عـلى فـيروس كورونـا. وأريـد أن أوضـحَ أنَّ هـذه أخبـار سـارَّة، بـل إنَّهـا في حقيقـة الأمـر سرُّ اختبـارِ حـلاوةِ الله وسـط أعـمال عنايتـه المُـرَّة.

حـين نقـول إنَّ الله ضابـطُ الـكلّ، فإنَّنـا نقصـدُ أنَّ لـه السـلطان. ويعنـي سـلطانُ الله أو سـيادته أنَّـه **يقـدر** أن يفعـل، بـل **يفعـل** حقًّـا، كلَّ مـا يشـاء عـلى نحـوٍ قاطـعٍ أن يفعلـه. وأقـول **عـلى نحـوٍ قاطـع**؛ لأنَّ الله، مـن ناحيـة، يشـاء أمـورًا لكنَّـه لا ينفِّذهـا؛ فهـو يسـتطيع أن يعـبِّر عـن رغبـاتٍ يختـار هـو نفسـه ألَّا يحقِّقهـا. مـن هـذه الناحيـة، هـذه الأمـور ليسـت قاطعـة؛ فهـو نفسـه لا يسـمح لمثـل هـذه الرغبـة أو المشـيئة أن ترقـى إلى مسـتوى التنفيـذ.

تأمَّل مثلًا في مراثي إرميا ٣: ٣٢-٣٣:

«فَإِنَّهُ وَلَوْ أَحْزَنَ يَرْحَمُ
حَسَبَ كَثْرَةِ مَرَاحِمِهِ.
لأَنَّهُ لا يُذِلُّ مِنْ قَلْبِهِ
وَلا يُحْزِنُ بَنِي الإِنْسَانِ».

**يُحزِننـا** الله بالفعـل، ولكـنْ ليـس **مـن قلبـه**. أعتقـد أنَّ معنـى هـذا هـو: مـع أنَّ هنـاك جوانـبَ مـن طبيعـة الله (قلبـه) لا تميـل إلى إحزاننـا، فـإنَّ هنـاك جوانـبَ أخـرى مـن طبيعتـه تُمـلي (تُحتِّـمُ) قداسـةَ إحزاننـا وبـرَّه.

ليـس الله مـزدوَجَ الشـخصيَّة، بـل يكمن جـمالٌ وترابطٌ كاملَين في كيفيَّة تضافُـر جميـع صفـات الله معًـا. لكـن، ليـس الله أيضًـا خاليًـا مـن التعقيـد؛ فـإنَّ طبيعتَـه أشـبَه بسـيمفونيَّة، أكـثر مـن كونهـا أداءً صوتيًّـا منفـردًا.

لـذا، عندمـا أقـول إنَّ سـيادة الله تعنـي أنَّـه **يقـدر** أن يفعـل، بـل هـو يفعـل **حقًّـا**، كلَّ مـا يشـاء **عـلى نحـوٍ قاطـع** أن يفعلـه، فأنـا أقصـد أنَّـه مـا مـن قـوَّةٍ خـارجَ ذاتـه يمكـن أن تحبـطَ مشـيئته أو تَعوقهـا. فحـين **يقـرِّر** الله حـدوث شيء مـا، فإنَّـه يحـدث. أو بكلـماتٍ أخـرى، يحـدثُ كلُّ شيء؛ لأنَّ الله يشـاءُ حدوثَـه.

## سيادة شاملة

علَّم إشعياء أنَّ هذا جزءٌ من صميم معنى أن يكونَ الله هو الله:

«أَنَا الله وَلَيْسَ آخَرُ.
الإِلَهُ وَلَيْسَ مِثْلِي.
مُخْبِرٌ مُنْذُ الْبَدْءِ بِالأَخِيرِ
وَمُنْذُ الْقَدِيمِ بِمَا لَمْ يُفْعَلْ
قَائِلًا: رَأْيِي يَقُومُ
وَأَفْعَلُ كُلَّ مَسَرَّتِي» (إشعياء ٤٦: ٩-١٠)

فـأن يكـون الله هـو الله يعنـي أنـه يجعـلُ رأيَـه يقـومُ- دائمًـا. لا يكتفـي الله بـأن **يخـبر** بالأحـداث المسـتقبليَّة التـي سـتقع، بـل **يجعلُهـا** تقـعُ أيضًـا. فهـو ينطـق بكلمتـه، ثـمَّ يضيـف: «أَنَـا سَـاهِرٌ عَـلَى كَلِمَتِـي لأُجْرِيَهَـا» (إرميـا ١: ١٢).

يعنـي هـذا، كـما تعلَّـم أيُّـوب مـن تجربتـه الصعبـة: «قَـدْ عَلِمْـتُ أَنَّـكَ تَسْـتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ وَلا يَعْسُرُ عَلَيْـكَ أَمْـرٌ» (أيُّـوب ٤٢: ٢)؛ أو كـما تعلَّـم نبوخذنـصَّر حينـما أذلَّـه الله رحمـةً بـه:

«وَحُسِبَتْ جَمِيعُ سُكَّانِ الأَرْضِ كَلا شَيْءَ
وَهُوَ يَفْعَلُ كَمَا يَشَاءُ فِي جُنْدِ السَّمَاءِ
وَسُكَّانِ الأَرْضِ
وَلا يُوجَدُ مَنْ يَمْنَعُ يَدَهُ
أَوْ يَقُولُ لَهُ: مَاذَا تَفْعَلُ؟ (دانيال ٤: ٣٥)

أو كما قال كاتب المزمور:

«كُلَّ مَا شَاءَ الرَّبُّ صَنَعَ
فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ
فِي الْبِحَارِ وَفِي كُلِّ اللُّجَجِ» (مزمور ١٣٥: ٦)

أو كما أجملَ الرسول بولس:

«الَّذِي يَعْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ رَأْيِ مَشِيئَتِهِ» (أفسس ١: ١١)

فهو يعمل «كلَّ شيء»، لا بعض الأشياء، «حَسَبَ رَأْيِ مَشِيئَتِهِ»، لا حسب مشيئاتٍ أو قوى أخرى خارج ذاته.

بكلماتٍ أخرى، إنَّ سيادةَ الله شاملة؛ فهو متحكِّم تحكُّمًا مطلقًا في هذا العالم: يتحكَّم في الرياح (لوقا ٨: ٢٥)، والبروق (أيُّوب ٣٦: ٣٢)، والثلج (مزمور ١٤٧: ١٦)، والضفادع (خروج ٨: ١-١٥)، والبعوض (خروج ٨: ٢٠-٣٢)، والجراد (خروج ١٠: ١-٢٠)، والسلوى (خروج ١٦: ٦-٨)، والدود (يونان ٤: ٧)، والأسماك (يونان ٢: ١٠)، والعصافير (متَّى ١٠: ٢٩)، والعشب (مزمور ١٤٧: ٨)، والنباتات (يونان ٤: ٦)، والمجاعات (مزمور ١٠٥: ١٦)، والشمس (يشوع ١٠: ١٢-١٣)، وأبواب السجن (أعمال الرسل ٥: ١٩)، والعمى (خروج ٤: ١١؛ لوقا ١٨: ٤٢)، والصَّمَم (خروج ٤: ١١؛ مرقس ٧: ٣٧)، والشلل (لوقا ٥: ٢٤-٢٥)، والحُمَّى (متَّى ٨: ١٥)، كما يتحكَّم في كلِّ

مـرض (متَّـى ٤: ٢٣)، وفي خُطـط السـفر (يعقـوب ٤: ١٣-١٥)، وفي قلـوب الملـوك (أمثـال ٢١: ١؛ دانيـال ٢: ٢١)، وفي الأمـم (مزمـور ٣٣: ١٠)، وفي القتلـة (أعـمال ٤: ٢٧-٢٨)، ويتحكَّـم أيضًـا في المـوت الروحـيّ (أفسـس ٢: ٤-٥) — وهـذه جميعهـا تنفِّـذُ مشـيئته السـياديَّة.

## ليس هذا أوان الآراء العاطفيَّة عن الله

الله هـو إذًا مَـن أرسـلَ فـيروس كورونـا. ليـس هـذا أوان الآراء العاطفيَّـة عـن الله. هـذا وقـتٌ مُـرّ، والله هـو مَـن عيَّنـه، وهـو ضابطـه، وهـو مَـن سـيُنهيه. ولا شيء خـارج عـن نطـاق سـيطرته؛ فالحيـاة والمـوت في يـده.

لم يخطئ أيُّوب بشفتَيه حين قال:

«عُرْيَانًا خَرَجْتُ مِنْ بَطْنِ أُمِّي
وَعُرْيَانًا أَعُودُ إِلَى هُنَاكَ.
الرَّبُّ أَعْطَى
**وَالرَّبُّ أَخَذَ**
فَلْيَكُنِ اسْمُ الرَّبِّ مُبَارَكًا»

(أيُّوب ١: ٢١)

الربُّ أعطى والربُّ أخذ. كان الربُّ هو مَن أخذَ أبناء أيُّوب العشرة.

لا أحـد لديـه الحـقُّ أن يعيـشَ في محـضر الله. فـإنَّ كلَّ نَفَـسٍ نلتقطُـه هـو عطيَّـةُ النعمـة. وكلُّ نبضـةِ قلـب هـي أمـرٌ لا نسـتحقُّه. فالحيـاة والموت

هما في النهاية في يد الله:

«انْظُرُوا الآنَ! أَنَا أَنَا هُوَ
وَلَيْسَ إِلهٌ مَعِي.
أَنَا أُمِيتُ وَأُحْيِي.
سَحَقْتُ وَإِنِّي أَشْفِي
وَلَيْسَ مِنْ يَدِي مُخَلِّصٌ» (تثنية ٣٢: ٣٩)

لذا، بينما نفكِّر في مستقبلنا مع وجود فيروس كورونا — أو مع وجود أيَّة أحوالٍ أُخرى تهدِّد حياتنا — يخبرنا يعقوبُ بالكيفيَّة التي ينبغي بها أن نفكرَ ونتكلَّم:

«أَنْ تَقُولُوا: إِنْ شَاءَ الرَّبُّ وَعِشْنَا نَفْعَلُ هَذَا أَوْ ذَاكَ»
(يعقوب ٤: ١٥)

إنْ شاءَ الرَّبُّ سنعيش. وإنْ لم يشأ، فلن نعيش.

ربَّما لن أعيشَ حتَّى أشهدَ نَشْرَ هذا الكتاب؛ فقد أصيبُ واحدٌ على الأقلِّ من أقاربي بعدوى فيروس كورونا، وأنا في الرابعة والسبعين من عمري، ولديَّ رئتان ضعيفتان بسبب جلطةٍ دمويَّة، والتهابٍ موسميٍّ في الشُّعَب الهوائيَّة. لكنْ ليست هذه العوامل هي التي تقرِّر مصيري، بل الله هو الذي يفعل. أهذه أخبارٌ سارَّة؟ نعم. وسوف أحاول أن أبيِّن السببَ في الفصل التالي.

# الفصل الخامس:
# حلاوةُ سلطانه

لماذا ينبغي أن أستقبلَ خبرَ سيادة الله على فيروس كورونا، وعلى حياتي، على أنَّه تعليمٌ حلوٌ وسارّ؟ السرُّ، كما ذكرتُ سابقًا، يكمن في **معرفة أنَّ السيادة نفسها التي كان في وسعها أن تمنعَ فيروس كورونا، لكنَّها لم تفعل، هي التي تساند النفس وتدعمها في أثناء الأزمة**. بتعبيرٍ آخر، إنْ حاوَلْنا تبرئة الله من سيادته على الألم، فنحن بهذا نضحي بسيادته على تحويل كلِّ الأشياء للخير.

## إطاحةُ الله عن عرشه ليست بالخبر السارّ

إنَّ السيادةَ نفسها التي تسيطر على المرض هي التي تساند في أوقات الخسارة والفقدان. والسيادة نفسها التي تأخذ الحياة هي التي هزمَتِ الموت، وأعادت المؤمنين إلى السماء وإلى المسيح. ليس بالأمر السارِّ أن نظنَّ أنَّ الشيطان، أو المرض، أو العملَ التخريبيّ، أو القَدَر، أو الصدفة لها القَولُ الفَصْل في حياتي. **ليست** هذه أخبارًا سارَّة.

لكنَّ حُكم الله وسيادته هما حقًّا أخبار سارَّة. لماذا؟ لأنَّ الله قدُّوس وبارٌّ وصالحٌ وغيرُ محدودٍ في حكمته؛ فهو «عِنْدَهُ الْحِكْمَةُ وَالْقُدْرَةُ. لَهُ الْمَشُورَةُ وَالْفِطْنَةُ» (أيُّوب ١٢: ١٣)، و«لِفَهْمِهِ لا إِحْصَاءَ» (مزمور ١٤٧: ٥)، و«يَا لَعُمْقِ غِنَى اللهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ» (رومية ١١: ٣٣). وهدفه الأكبر هو أن «يُعَرَّفَ الآنَ عِنْدَ الرُّؤَسَاءِ وَالسَّلاطِينِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ ... بِحِكْمَةِ اللهِ الْمُتَنَوِّعَةِ» (أفسس ٣: ١٠).

لا شيء يباغتُ الله، أو يربكُه، أو يُحيِّره؛ فقدرته غير المحدودة هي في يد قداسته وبرِّه وصلاحه غير المحدودة — وكذلك في يد حكمته غير المحدودة. وكلُّ ذلك هو في خدمة أولئك الذين يؤمنون بابنه، يسوع المسيح. وهناك صلةٌ وثيقةٌ ما بين فيروس كورونا وإرسال الله يسوع كي يموتَ عن الخطاة.

## كيف ضمن الله «كلَّ شيء» للخطاة

تَكمُنُ طبيعةُ هذه الصلة في الآية في رومية ٨: ٣٢ التي تقول: «الَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ كَيْفَ لا يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟» يعني هذا أنَّ استعدادَ الله لأن يرسلَ ابنه كي يُصلَب عوضًا عنَّا كان إعلانًا وتصديقًا منه على أنَّه سوف يستخدم كلَّ سيادته كي «يَهَبَنا كلَّ شيء». فعبارة «كَيْفَ لا يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ **كُلَّ شَيْءٍ**؟» تعني أنَّه قطعًا وبكلِّ تأكيد سيفعل ذلك، وأنَّ هذا مضمونٌ بدم ابنه.

وما «كلُّ شيء» الذي يتحدَّث النصُّ بشأنه؟ هو الأمور التي نحتاج إليها كي نصنعَ مشيئته، ونمجِّد اسمه، ونصل بسلام إلى محضره البهيج.

فبعد ثلاث آيات، أوضح بولس الرسول كيفيَّة حدوث ذلك على أرض الواقع — أي في وسط فيروس كورونا. كيف سيبدو الوضع إذًا حين يلتقي فيروس كورونا وتعهُّدُ الله غير المحدود، والمعتمَد بالدَّم، بأنْ يَهَبَنا «كلَّ شيء»؟ إليكم ما يقوله بولس الرسول في هذا الشأن:

> «مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشِدَّةٌ أَمْ ضِيْقٌ أَمِ اضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عُرْيٌ أَمْ خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ:
> إِنَّنَا مِنْ أَجْلِكَ نُمَاتُ كُلَّ النَّهَارِ.
> قَدْ حُسِبْنَا مِثْلَ غَنَمٍ لِلذَّبْحِ.
> وَلَكِنَّنَا فِي هَذِهِ جَمِيعِهَا يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا بِالَّذِي أَحَبَّنَا»
> (رومية ٨: ٣٥-٣٧)

لا تَفُتْكَ هذه الكلمات المذهلة، رغم أنَّها موجعة: «نُمَاتُ كُلَّ النَّهَار». يعني ذلك أنَّ عبورَنا آمِنين من الموت هو أحد الأمور التي لنا من الله ضمن «كلِّ شيء» الذي سيهَبُنا الله إيَّاه؛ فهو لم يشفقْ على ابنه، بل بذلَه من أجلنا، أو كما يقول رومية ٨: ٣٨-٣٩: «فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لا مَوْتَ وَلا حَيَاةَ ... تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا».

## ما يقصدُ به الشيطان شرًّا

حتَّى لو كانت للشيطان — بحسب القَدْر الذي يُسمح له به — علاقةٌ بآلامنا وموتنا، فهو ليس مطلَق القوَّة. لا يقدرُ الشيطان أن يؤذيَنا دون سماح من الله، ودون حدودٍ موضوعةٍ له (أيُّوب ١: ١٢؛ لوقا ٢٢: ٣١؛ ٢كورنثوس ١٢: ٧). في النهاية، من الصواب أن نقولَ للشيطان ما قاله يوسف لإخوته الذين باعوه عبدًا: «أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا أَمَّا الله فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا» (تكوين ٥٠: ٢٠).

لكنِ احترسْ من أن تخفِّف من معنى هذه الفكرة. لا يعني ذلك أنَّ «الله **استخدمَ** الشرَّ للخير»، أو أنَّه «**حوَّل** الشرَّ إلى خيرٍ»؛ لأنَّ يوسف قال: «أَمَّا الله **فَقَصَدَ** بِهِ خَيْرًا». كان قصدُ إخوة يوسف شرًّا، في حين كان قصد الله للخير. لم يبدأ الله بمعالجة نتائج هذا العمل الشرِّير في منتصف الطريق، بل كان لديه قصد ومغزى منذ البداية. فمنذ البداية، قصد الله به خيرًا.

هذا هو مفتاحُ عزائنا حين يتسبَّب شرُّ البشر وشرُّ الشيطان في آلامٍ لنا. ففي المسيح، لدينا كلُّ الحقِّ أن نقول للشيطان (أو للأشرار): «أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا أَمَّا الله فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا». فلا الشيطان، ولا المرض، ولا الإنسان الخاطئ يملكون السيادة، بل الله وحده هو صاحبُ السيادة. وهو صالح وحكيم وذو سلطان.

## ليس عصفورًا، بل كلُّ شعرة

كان كلام يسوع لتلاميذه عن حلاوة سيادة الله هو الأجملَ والأروعَ:

> «أَلَيْسَ عُصْفُورَانِ يُبَاعَانِ بِفَلْسٍ؟ وَوَاحِدٌ مِنْهُمَا لا يَسْقُطُ عَلَى الأَرْضِ بِدُونِ أَبِيكُمْ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَحَتَّى شُعُورُ رُؤُوسِكُمْ جَمِيعُهَا مُحْصَاةٌ. فَلا تَخَافُوا. أَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْ عَصَافِيرَ كَثِيرَةٍ»
> (متَّى ١٠: ٢٩-٣١)

لا يسقطُ عصفورٌ واحدٌ إلَّا بحسب خُطَّة الله، ولا يتحرَّكُ فيروس واحدٌ إلَّا بحسب خُطَّة الله. هذه سيادةٌ بالغةُ التدقيق والاهتمام بالتفاصيل. ثمَّ ماذا قال يسوع بعد هذا؟ قالَ ثلاثةَ أمور: أَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْ عَصَافِيرَ كَثِيرَةٍ، وشُعُورُ رُؤُوسِكُمْ جَمِيعُهَا مُحْصَاةٌ، فَلا تَخَافُوا.

ولِمَ علينا ألَّا نخاف؟ لأنَّ سيادة الله المدقِّقة هذه — سواء عشنا أم مُتنا — تخدم قداسته وبرَّه وصلاحه وحكمته. فإنَّنا في المسيح لسنا قِطَع شِطْرَنْج في لعبة الله يمكن الاستغناء عنها، بل نحن أبناؤه الأعزَّاء عليه — «أَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْ عَصَافِيرَ كَثِيرَةٍ».

هذا هو السرُّ الذي تحدَّثتُ بشأنه سابقًا: **معرفة أنَّ السيادة نفسها التي كان في وسعها أن تمنعَ فيروس كورونا، لكنَّها لم تفعل، هي التي تساند النفس وتدعمها في أثناء الأزمة**. ولا يتوقَّفُ الله في سيادته عند مجرَّد الدعم والمساندة، بل يحرص على أن تعملَ كلُّ الأشياء، سواء كانت مُرَّة أم حُلْوة، معًا لخيرنا، أي لخير الذين يحبُّون الله، والمدعوِّين في المسيح (رومية ٨: ٢٨-٣٠).

## لن أموتَ حتَّى ينتهي عملي

هذا النوع من اليقين الراسخ كالصخر في وجه الموت هو ما أمدَّ شعبَ المسيح بالجرأة والبسالة طَوال ألفَي سنة. فقد كان حقُّ سيادة

الله الحكيمة والصالحة هو القوَّةَ التي ثبَّتت آلافَ المؤمنين، ومكَّنتهم من تقديم تضحياتِ المحبَّة.

مثلًا، في كانون الثاني/يناير من عام ١٨١٢م، كتب هنري مارتن (Henry Martyn)، المرسَل إلى الهند وبلاد فارس، والذي ماتَ بالطاعون (وبأ نظير فيروس كورونا)، وهو في الحادية والثلاثين من عمره (١٦ تشرين الأوَّل/أكتوبر ١٨١٢م)، الكلمات التالية في مذكِّراته:

> «حسبما أرى، ستكون السنة الحاليَّة أخطر من أيَّة سنةٍ أخرى مضت. لكن، إنْ بقيتُ على قيد الحياة حتَّى انتهائي من ترجمة العهد الجديد إلى اللغة الفارسيَّة، فلن تكونَ لحياتي بعدَ هذا أهمِّيَّةٌ كبيرة. وسواء كان نصيبي هو الحياة أم الموت، فليتعظَّمِ المسيحُ فيَّ! فإذا كان لديه عملٌ آخر يريدني أن أقوم به، فلن أموت».[٥]

أُعيد صياغة هذا التعبير كثيرًا على النحو التالي: «لن أموتَ حتَّى ينتهي عملُ المسيح الذي حدَّده لي». وهذا صحيح تمامًا؛ لأنَّه قائمٌ على حقيقة أنَّ الحياة والموت هما في يد إلهنا صاحب السيادة. حقًّا إنَّ قضيَّة المسيح بأكملها هي في يده. فقبل ذلك بسبع سنوات، كتب مارتن، وهو في الرابعة والعشرين من عمره، الكلمات التالية:

> «لو لم يكُنِ الله سيِّدَ الكون، لكنتُ شقيًّا وبائسًا جدًّا. لكنَّ الربَّ هو مَن يملك، فلتَبتَهِجِ الأرض. وسوف تنتصر قضيَّة المسيح. ابتهجي يا نفسي بهذا الرجاء».[٦]

# الجزء الثاني:

# ماذا يفعل الله
# بواسطة
# فيروس كورونا؟

# أفكارٌ تمهيديَّة:
# رؤيةٌ وتوجيهُ أنظار

إنْ لم يكُنِ الله قد أُطيحَ عن عرشه؛ وإنْ كان في الحقيقة مَن يضبطُ «كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ رَأْيِ مَشِيئَتِهِ» (أفسس ١: ١١)، وإن كان وباء فيروس كورونا هذا، بكلِّ ما يسبِّبه من خرابٍ، هو في يده المتَّسمة بالقداسة والبرِّ والصلاح والحكمة، فماذا يفعل الله إذًا؟ وما مقاصدُه؟

## كُفُّوا عَنِ الإِنْسان

أوَّل ما أودُّ أن أقولَه، قبل محاولة الإجابة عن هذا السؤال، هو أنَّ رأيي، بالمقارنة بحكمة الله، لا يساوي شيئًا، وكذلك رأيك أنت أيضًا؛ فما نظنُّه، بحسب ما يمليه علينا تفكيرنا، ليس ذا أهمِّيَّة تُذكَر. يقول الكتاب المقدَّس: «الْمُتَّكِلُ عَلَى قَلْبِهِ هُوَ جَاهِلٌ» (أمثال ٢٨: ٢٦)، في المقابل، يوصينا بالآتي: «تَوَكَّلْ عَلَى الرَّبِّ بِكُلِّ قَلْبِكَ وَعَلَى فَهْمِكَ لا تَعْتَمِدْ» (أمثال ٣: ٥).

فإنَّنا، نحن البشرَ، محدودون، وخطاةٌ، ومقيَّدون بحدود ثقافتنا، ونتشكَّل (ويُساء تشكيلنا أيضًا) بحسب جيناتنا وتاريخنا الشخصيّ. ويخرجُ من داخل قلوبنا وعقولنا وأفواهنا كلُّ أشكال التبريرات لما نفضِّله ونميل إليه. لذا، من الحكمة أن ننتبه إلى قول إشعياء النبيّ: «كُفُّوا عَنِ الإِنْسَانِ الَّذِي فِي أَنْفِهِ نَسَمَةٌ لأَنَّهُ مَاذَا يُحْسَبُ؟» (إشعياء ٢: ٢٢).

ألا يُعَدُّ إذًا تأليفي هذا الكتاب عجرفةً؟ فضلًا عن وجودِ قسمٍ كاملٍ فيه بعنوان: «ماذا يفعل الله بواسطة فيروس كورونا؟»؟

كلَّا، ليس هذا عجرفةً. ليس إنْ كان الله قد تكلَّم بالفعل في الكتاب المقدَّس؛ وليس إنْ كان قد تنازل كي يحدِّثنا بكلمات بشريَّة حتَّى يتسنَّى لنا أن نعرفه ونعرفَ طرقَه بالحقيقة (وإنْ كانَ بصورةٍ جزئيَّة)، وليس إنْ كانت كلمات بولس الرسول صحيحة: «[الله] أَجْزَلَهَا [نعمته] لَنَا بِكُلِّ حِكْمَةٍ وَفِطْنَةٍ، إِذْ عَرَّفَنَا بِسِرِّ مَشِيئَتِهِ» (أفسس ١: ٨-٩)؛ وليس إنْ كنَّا، كما قال بولس **حين نقرأ** سنقدر أن نفهمَ «دِرَايَتِي بِسِرِّ الْمَسِيحِ» (أفسس ٣: ٤).

ليس الله متكتِّمًا بشأن ما يفعلُه في هذا العالم؛ فقد أعطانا الكتاب المقدَّس. وقد أشرتُ في الفصل الثاني إلى بعض الأسباب التي تدعونا إلى الثقة بأنَّ هذا الكتاب المقدَّس هو كلمة الله. لذا، لستُ أهدف هنا إلى تخيُّل أو ابتكار أفكار بشأن ما قد يفعله الله، بل هدفي الحقيقيُّ هو أن أصغيَ إلى كلمته في الكتاب المقدَّس، ثمَّ أستودعكم ما أسمعه.

## ما أبعدَ طرقه عن الاستقصاء!

أودُّ أن أقول شيئًا آخر قبل محاولة الإجابة عن سؤال: «ماذا يفعل الله؟»، وهو إنَّ الله دائمًا ما يفعل مليارات الأشياء التي لا نعرفها:

«كَثِيرًا مَا جَعَلْتَ أَنْتَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهِي
عَجَائِبَكَ وَأَفْكَارَكَ مِنْ جِهَتِنَا.
لا تُقَوَّمُ لَدَيْكَ.
لَأُخْبِرَنَّ وَأَتَكَلَّمَنَّ بِهَا.
زَادَتْ عَنْ أَنْ تُعَدَّ» (مزمور ٤٠: ٥)

فإنَّ مقاصده من وراء فيروس كورونا ليسَتْ فقط أكثر جدًّا من أن تُحصَى، بل هي، من نواحٍ عدَّة، بعيدةٌ عن الاستقصاء. «يَا لَعُمْقِ غِنَى اللهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ

الاسْتِقْصَاءِ!» (رومية ١١: ٣٣). لكن، عندما كتب بولس هذا، لم يكُنْ يقصد أن يقولَ لنا: «أغلقوا إذًا كتبكم المقدَّسة، واصنعوا واقعَكم الخاصّ».

بل على النقيض، هذه الكلمات عن طرق الله البعيدة عن الاستقصاء كانت ذروة أحد عشر أصحاحًا، قرأنا فيها أعظم الأخبار، والتي كُتِبت جميعها كي نفهمها. مثلًا، حين تناولَ بولس حتميَّة الألم، قال:

> «بَلْ نَفْتَخِرُ أَيْضًا فِي الضِّيقَاتِ **عَالِمِينَ** أَنَّ الضِّيقَ يُنْشِئُ صَبْرًا وَالصَّبْرُ تَزْكِيَةً وَالتَّزْكِيَةُ رَجَاءً وَالرَّجَاءُ لا يُخْزِي لأَنَّ مَحَبَّةَ اللهِ قَدِ انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا» (رومية ٥: ٣-٥).

«**عَالِمِينَ**»! كُتِب الكتاب المقدَّس حتَّى **نعلَم** الأمور التي أعلنها الله، ولا سيَّما بشأن الألم — بما في ذلك آلام تفشِّي فيروس كورونا. وهكذا فإنَّ تعبير «**بعيدة عن الاستقصاء**» يعني أنَّ الله دائمًا ما يفعل ما يفوق قدرتنا على الرؤية، بل حتَّى ما يمكننا أن نراه، ما كنَّا لنراه لولا أنَّه أعلنَه لنا.

## توجيه الأنظار إلى واقع

ليس دوري هنا إذًا هو أن أتخيَّل، كما تخبرُنا أغنية جون لينون الشهيرة بعنوان «Imagine» (بمعنى تخيَّلْ)،[٧] والتي فيها يطلبُ إلينا أن نتخيَّلَ أنَّه لا توجد سماء، ولا جحيم، بل فقط السماء الزرقاء من فوقنا. ثمَّ يقول: «مثل هذا التخيُّل سهلٌ. فقط جرِّبه». أجل، هو سهلٌ حقًّا، بل أسهلُ من اللازم. لكنْ، يفرض فيروس كورونا واقعًا صعبًا، لا تخيُّلات سهلة. والله وكلمته هما الواقع الذي نحتاج إليه — أي الصخرة التي نقف عليها. لذا، فهدفي هنا هو أن أوجِّه الأنظار إلى الواقع، لا أن أختلقَ واقعًا. هدفي أن أسمعَ ما قاله الله، وأقرَّ به وأؤيِّدَه، لا أن أتخيَّل.

سوف أوجِّه أنظارك إلى ما يعلِّمه الكتاب المقدَّس، ثمَّ أربط هذا بفيروس كورونا. وسيكون عليك أن تَحكُم بالحقّ.

أقول ذلك لأنَّ هذا هو ما أخبرنا به يسوع بشأن «تمييز هذا الزمان». فقد كان ساخطًا لأنَّ الناس كانوا يستطيعون استخدام عقلهم ومنطقهم لفَهْم أنماط الحالة الجوِّيَّة، في حين عجزوا عن استخدامه لفَهْم أعمال الله في التاريخ:

> «يَا مُرَاؤُونَ تَعْرِفُونَ أَنْ تُمَيِّزُوا وَجْهَ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَأَمَّا هَذَا الزَّمَانُ فَكَيْفَ لا تُمَيِّزُونَهُ؟ وَلِمَاذَا لا تَحْكُمُونَ بِالْحَقِّ مِنْ قِبَلِ نُفُوسِكُمْ؟»
> (لوقا ١٢: ٥٦-٥٧)

لذلك، رجائي هو أن تطلبَ معونةَ الله، وتنظر إلى كلمة الله، ثمَّ تَحكُم بنفسك بالحقّ. أتمنَّى أن تمتحن ما أقولُه بحسب المكتوب (١يوحنَّا ٤: ١)، وأن تتمسَّك بالحَسَن (١تسالونيكي ٥: ٢١).

## ستَّة مسارات ينبغي السلوك فيها

يمكن أن تُكتَبَ صفحاتٌ كثيرةٌ عن كلِّ إجابةٍ من الإجابات الستِّة التي سأقدِّمها في ما يلي عن سؤال: «ماذا يفعل الله بواسطة فيروس كورونا؟» لكن، نظرًا إلى ضيقِ الوقت، فلن أطيلَ في ذلك، بل سأكتفي فقط بتوجيه الأنظار إلى مسارات الحقِّ الكتابيِّ التي أرجو أن تتَّبعَها بعد أن تُغلقَ هذا الكتاب. كنتُ أتمنَّى لو أمكننا السيرُ معًا في تلك المسارات مسافة طويلة، لكنْ سيكون عليَّ أن أترك لك هذه المُهمَّة، وأدعو الله أن يرشدَك.

ماذا يفعل الله بواسطة فيروس كورونا؟

# الفصل السادس: إظهارُ البشاعة الأدبيَّة للخطيَّة

## الإجابة الأولى

يرسم الله للعالم، بواسطة وباء فيروس
كورونا، كما بواسطة أيَّة بليَّة أخرى، صورةً
مادِّيَّةً وملموسةً للبشاعة الأدبيَّة والقُبح
الروحيِّ للخطيَّة التي تحطُّ من قدر الله.

في واقع الأمر، الخطيَّةُ هي سبب كلِّ شقاءٍ وبؤسٍ مادِّيّ. يروي لنا الأصحاح الثالث في الكتاب المقدَّس الكيفيَّة التي دخلَتْ بها الخطيَّةُ العالم، مبيِّنًا أنَّ الخطيَّة هي أصل الخراب والشقاء الموجود في العالم (تكوين ٣: ١-١٩). وقد لخَّص بولس الأمرَ في رومية ٥: ١٢ قائلًا: «مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ وَهَكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ».

ومنذ ذلك الحين، ظلَّ العالم في حالة انكسار، وصار كلُّ جمالٍ فيه ممتزجًا بالشرِّ والكوارث والأمراض والإحباطات. فقد خلقه الله عالمًا مثاليًّا: «وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا» (تكوين ١: ٣١)؛

لكن، منذ سقوط البشريَّة في الخطيَّة وحتَّى يومنا هذا، لم يَعُدِ التاريخ، مع كلِّ عجائبه، سوى سيرٍ متحرِّكٍ ينقلُ الجثث.

## السقوطُ دينونة

لا يحسبُ الكتاب المقدَّس هذا الانكسار أمرًا طبيعيًّا، بل يرى أنَّه دينونةُ الله على عالمٍ استشرَتْ فيه الخطيَّة. وإليكم وَصْفَ بولس لنتائج دينونة الله على العالم بسبب الخطيَّة:

> «إِذْ أُخْضِعَتِ الْخَلِيقَةُ لِلْبُطْلِ- لَيْسَ طَوْعًا بَلْ مِنْ أَجْلِ الَّذِي أَخْضَعَهَا — عَلَى الرَّجَاءِ. لأَنَّ الْخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضًا سَتُعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ إِلَى حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلادِ اللهِ. فَإِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْخَلِيقَةِ تَئِنُّ وَتَتَمَخَّضُ مَعًا إِلَى الآنَ» (رومية ٨: ٢٠-٢٢).

البُطْل؛ عبوديَّة الفساد؛ الأنين — هذه صورٌ للخراب والبؤس الشامل الذي حلَّ منذ أن دخلَتِ الخطيَّةُ العالم. ويقول بولس إنَّ هذا الخرابَ هو بسبب دينونة الله: «إِذْ **أُخْضِعَتِ** الْخَلِيقَةُ لِلْبُطْلِ ... مِنْ أَجْلِ **الَّذِي أَخْضَعَهَا** — عَلَى الرَّجَاءِ» (رومية ٨: ٢٠). لم يكن الشيطان هو مَن أخضعَ الخليقة **على الرجاء**؛ ولم يكن آدم هو مَن أخضعها **على الرجاء**، بل الله هو مَن فعل ذلك، كما قال بولس في رومية ٥: ١٦: «لأَنَّ الْحُكْمَ مِنْ وَاحِدٍ لِلدَّيْنُونَةِ».

## أولاد الله أنفسهم تحت الدينونة

لا شكَّ أنَّ عبارة «حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلادِ اللهِ» (رومية ٨: ٢١) مملوءةٌ بالرجاء؛ فلدى الله خُطَّةٌ مذهلةٌ بشأن خليقةٍ جديدة، حيث «يَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ» (رؤيا ٢١: ٤). أمَّا في الوقت الحاليّ، فجميعنا تحت دينونة الله. فقد أخضعَ الله العالم للموت والكوارث والبؤس.

أجل، حتَّى أولاد الله أنفسهم — الذين «سَبَقَ فَعَيَّنَهُم لِلتَّبَنِّي» (أفسس ١: ٥)، وافتداهم بدم ابنه (أفسس ١: ٧)، وعيَّنهم للحياة الأبديَّة (أفسس ١: ١٨)- أي نحن أنفسنا نتألَّم ونموت بسبب الدينونة التي أوقعَها الله في السقوط: «بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا بَاكُورَةُ الرُّوحِ نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضًا نَئِنُّ فِي أَنْفُسِنَا مُتَوَقِّعِينَ التَّبَنِّيَ فِدَاءَ أَجْسَادِنَا» (رومية ٨: ٢٣). يُكتَسَح **المؤمنون** بمياه أمواج تسونامي، ويُقتَل **المؤمنون** في الهجمات الإرهابيَّة، ويُصاب **المؤمنون** بعدوى فيروس كورونا.

## تنقيةٌ لا عقاب

يَكمُن الفرق، عند المؤمنين — أي الذين قبلوا المسيح بصفته كنزهم الأسمى — في أنَّ اختبارَ هذا الألم والفساد ليس دينونة: «إِذًا لا شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (رومية ٨: ١)؛ فهو للمؤمنين ألمُ تنقية، وليس ألمَ عقاب.

«لأَنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْنَا لِلْغَضَبِ» (١تسالونيكي ٥: ٩). فإنَّنا، نظير جميع البشر، نموتُ من جرَّاء أمراض أو كوارث، لكنْ لأنَّنا في المسيح، فقد انتُزِعت «شوكة» الموت (١كورنثوس ١٥: ٥٥)، وصار «الْمَوْتُ هُوَ رِبْحٌ» (فيلبِّي ١: ٢١). فقد صار رحيلُنا عن العالم يعني أنْ نكون «مَعَ الْمَسِيحِ» (فيلبِّي ١: ٢٣).

## الشيطانُ حقيقة، لكنَّ حرِّيَّتُه مقيَّدة

حين أنسب مآسي هذا العالم وآلامه إلى دينونة الله، فلستُ بهذا أُعمي عينيَّ عن حقيقة أنَّ للشيطان علاقةً كبيرةً بشقائنا العالميّ. فإنَّ الكتاب المقدَّس يسمِّي الشيطان: «إِلَهُ هَذَا الدَّهْرِ» (٢كورنثوس ٤: ٤)، و«رَئِيس هَذَا الْعَالَم» (يوحنَّا ١٢: ٣١)، و«رَئِيس سُلْطَانِ الْهَوَاءِ» (أفسس ٢: ٢). وقد كان «قَتَّالًا لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ» (يوحنَّا ٨: ٤٤). وهو «يربط» البشر، و«يتسلَّط عليهم» بأمراضٍ كثيرة (لوقا ١٣: ١٦؛ أعمال الرسل ١٠: ٣٨).

لكنَّ الشيطانَ مربوطٌ بلِجام، ونهاية هذا اللجام في يد الله؛ فالشيطان لا يعملُ دون إذنٍ من الله، ولا يتصرَّف إلَّا بسماحٍ منه، وبحسب حدودٍ معيَّنةٍ موضوعةٍ له (أيُّوب ١: ١٢؛ ٢: ٦؛ لوقا ٢٢: ٣١؛ ٢كورنثوس ١٢: ٧). الله هو مَن يقرِّر بصورةٍ نهائيَّةٍ مدى الضَّرر الذي سيوقِعُه الشيطان. وليس الشيطانُ منفصلًا عن دينونة الله، بل بالأحرى يخدمها — وإن كان على نحوٍ غير متعمَّد.

## السؤال الأساسيّ

والآن، إليكم السؤال الذي يسلِّط مزيدًا من الضَّوء على المغزى من فيروس كورونا: «لِمَ يوقعُ الله على العالم دينونةً **مادِّيَّة** بسبب شرٍّ **أدبيّ**؟» فقد عصى آدم وحوَّاء الله، وانقلبا عليه، وفضَّلا حكمتَهما على حكمته، والاستقلال عنه على الاتِّكال عليه. لكن كان هذا **العصيان**، وهذا **التفضيل** شرًّا روحيًّا وأدبيًّا، أي خطيَّةً في **الروح** لا في الجسد. فقد كانت تتعلَّق بالله في المقام الأوَّل، لا بالإنسان.

لكنَّ الله، في ردِّ فعلٍ على هذا التمرُّد الأدبيِّ والروحيّ، أخضعَ العالم **المادِّيَّ** للكوارث والشقاء. لماذا؟ لماذا لم يترك العالم المادِّيَّ على حالته الحَسَنة، ويجلب الشقاء على الروح البشريَّة، ما دام قد بدأ منها كلُّ شيء؟

## إجابةٌ مقترَحة

إليكم إجابتي المقترَحة: وضعَ الله العالمَ المادِّيَّ تحت لعنةٍ حتَّى تصير الأهوالُ المادِّيَّةُ الملموسةُ التي نراها من حولنا في الأمراض والبلايا صورةً حيَّةً وواضحةً تُظهِر لنا مدى بشاعة الخطيَّة. بمعنى آخر، **الشرُّ المادِّيُّ مَثَلٌ، أو مشهدٌ دراميّ، أو لافتةٌ تشيرُ إلى الفظاعة الأدبيَّة للتمرُّد على الله.**

كيف يُعَدُّ هذا ملائمًا؟ هذا ملائمٌ لأنَّنا، في وضعنا الحاليِّ بعد السقوط، وقد أصابتنا الخطيَّة بالعمى، عاجزون عن رؤية قبحِ ارتكاب الخطيَّة في حقِّ الله والشعور بمدى بشاعتها. فنادرًا ما يشعر أحدُهم بمدى بشاعة تفضيل أشياءَ أخرى على الله. بل مَن منَّا يجافيه النوم بسبب تقليله اليوميِّ من شأن الله بتجاهُله أو عصيانه؟

لكنْ ما أشدَّ ما نشعر بآلامنا المادِّيَّة! وكم نغضب إذا مسَّ الله أجسادنا! ربَّما لا نحزن لأنَّنا نحطُّ من قدر الله في قلوبنا كلَّ يوم. لكنْ فليُهدِّدْ فيروس كورونا أجسادَنا، وحينئذ سيستحوذُ الله على كلِّ انتباهنا. أليس هذا صحيحًا؟ **فالألمُ المادِّيُّ هو بوقُ الله الذي يضربُ به كي يخبرَنا بأنَّ العالمَ يعاني خَطْبًا مروِّعًا.** فالأمراض والتشوُّهات هي صورٌ يرسمُها الله في العالم **المادِّيِّ** كي يُظهِر لنا الكيفيَّة التي تبدو الخطيَّة عليها في العالم **الروحيّ**.

يظلُّ هذا صحيحًا، حتَّى وإنْ أُصيبَ بعضٌ من أتقى المؤمنين في العالم بهذه الأمراض والتشوُّهات. فالبلايا عيِّنة يُظهِر بها الله لنا ما تستحقُّه الخطيَّة، وما ستناله يومًا في الدينونة، لكنْ بدرجةٍ أسوأ بما لا يُقاس. فهي تحذيرات، ونداءاتُ صحوةٍ تنبِّهنا إلى البشاعة الأدبيَّة والقبح الروحيِّ لارتكاب الخطيَّة في حقِّ الله.

ليت هذا يجعلنا جميعًا ندرك ونشعر بمدى كراهة، وقبح، وبشاعة تعامُلِنا مع خالقنا بازدراء، وتجاهُلنا له، وعدم وَضْع ثقتنا فيه، وحَطِّنا من قدره، ومنحه اهتمامًا في قلوبنا أقلَّ حتَّى من الذي نوليه لتصفيفة شعرنا.

نحتاج لأن نرى ذلك، ونشعر به، وإلَّا فلن نلتَفتَ إلى المسيح طالبين الخلاص من قُبْح الخطية. ربَّما نصرخ طالبين النجاة من **عقوبة** الخطيَّة، لكنْ ألعلَّنا نرى ونبغض ذلك **القبحَ** الأدبيَّ للخطيَّة، الذي يحطُّ من قَدْر الله؟ إذا لم يحدث ذلك، فلن يكون السبب هو

أنَّ الله لم يمدَّنا بصورٍ حيَّةٍ وواضحةٍ لها في شقائنا المادِّيِّ- مثل فيروس كورونا. ومن ثَمَّ، يصرخ الله برحمته في هذه الأيَّام، قائلًا لنا: استيقظوا! هكذا تبدو الخطيَّة في حقِّ الله؛ فهي بشعةٌ وقبيحةٌ، وأخطر كثيرًا من فيروس كورونا.

# الفصل السابع:
# إيقاعُ دينوناتٍ إلهيَّةٍ خاصَّة

## الإجابة الثانية

سوف يصاب بعضُ الأشخاص بعدوى فيروس
كورونا كدينونةً خاصَّةً من الله عليهم،
بسبب توجُّهاتهم وأفعالهم الخاطئة.

لا تعني حقيقةُ أنَّ كلَّ شقاءٍ هو نتيجةٌ للسقوط — أي نتيجةُ دخولِ الخطيَّة التي تحطُّ من قَدْر الله إلى العالم — أنَّ كلَّ ألمٍ فرديٍّ يُعَدُّ دينونةً خاصَّةً من الله على خطايا شخصيَّة. فمثلًا، لم تكُنْ آلام أيُّوب بسبب خطاياه الشخصيَّة، ويتَّضحُ ذلك من أوَّل آيةٍ في السفر: «كَانَ رَجُلٌ ... اسْمُهُ أَيُّوبُ. وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ كَامِلًا وَمُسْتَقِيمًا يَتَّقِي الله وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ» (أيُّوب ١: ١).

وكما رأينا سابقًا، يقاسي شعبُ الله الكثير من النتائج المادِّيَّة لدينونته. وقد عبَّر الرسول بطرس عن الأمر بهذه الكلمات:

«لأَنَّهُ الْوَقْتُ لابْتِدَاءِ الْقَضَاءِ **مِنْ بَيْتِ الله**. فَإِنْ كَانَ أَوَّلًا **مِنَّا**، فَمَا هِيَ نِهَايَةُ الَّذِينَ لا يُطِيعُونَ إِنْجِيلَ الله؟ وَإِنْ كَانَ الْبَارُّ بِالْجَهْدِ يَخْلُصُ، فَالْفَاجِرُ وَالْخَاطِئُ أَيْنَ يَظْهَرَانِ؟» (١بطرس ٤: ١٧-١٨).

هـذه الدينونـةُ الإلهيَّـة، للَّذيـن هـم مـن «بيـت الله»، هـي **للتنقيـة**، لا **للعقـاب**. ليـس إذًا كلُّ ألمٍ ناجـمًا عـن دينونـاتٍ خاصَّـةٍ مـن الله عـلى خطايـا معيَّنـة. لكـن مـن ناحيـة أخـرى، يسـتخدمُ الله المـرضَ أحيانًـا كي يوقـعَ دينونـاتٍ خاصَّـةً عـلى الذيـن يرفضونـه، ويسـلِّمون أنفسـهم إلى الخطيَّـة.

## أمثلةٌ لدينوناتٍ خاصَّةٍ على خطايا معيَّنة

إليكم مَثَلَين لدينوناتٍ خاصَّةٍ على خطايا معيَّنة.

في الأصحـاح الثـاني عـشر من سـفر أعـمال الرسـل، عظَّم هـيرودس الملك مـن نفسـه، وسـمح بـأن يُدعَـى إلهًـا. «فَفِـي الْحَـالِ ضَرَبَـهُ مَـلاكُ الـرَّبِّ لأَنَّـهُ لَـمْ يُعْـطِ الْمَجْـدَ لِلهِ فَصَـارَ يَأْكُلُـهُ الـدُّودُ وَمَـاتَ» (أعـمال الرسـل ١٢: ٢٣). يسـتطيع الله أن يفعـلَ ذلـك مـع كلِّ مَـن يمجِّـد ذاتَـه، مـا يعنـي أنَّنـا ينبغـي أن نتعجَّـبَ؛ لأنَّ الكثـير مـن حُكَّامنـا لا يسـقطون أمواتًـا كلَّ يـوم بسـبب وقاحتهـم وغطرسـتهم أمـام الله والنـاس. فـإنَّ طـولَ أنـاةِ الله (ضَبْطَـه لنفسـه) هـو رحمـةٌ عظيمـة.

المثـل الآخـر هـو خطيَّـة ممارسـة الجنـس المثـليّ. ففـي رومية ١: ٢٧، قـال الرسـول بولـس: «وَكَذَلِـكَ الذُّكُـورُ أَيْضًـا تَارِكِـينَ اسْـتِعْمَالَ الأُنْثَـى الطَّبِيعِـيَّ اشْـتَعَلُوا بِشَـهْوَتِهِمْ بَعْضِهِـمْ لِبَعْـضٍ فَاعِلِـينَ الْفَحْشَـاءَ ذُكُـورًا بِذُكُـورٍ وَنَائِلِـينَ فِي أَنْفُسِـهِمْ جَـزَاءَ ضَلالِهِـمِ الْمُحِـقّ». هـذا «الجـزاءُ المُحِـقُّ» هـو النتيجـة المؤلمـة لخطيَّتهـم «في أنفسـهم».

وليـس هـذا «الجـزاء المُحِـقّ» سـوى مَثَـلٍ واحـدٍ عـلى دينونـة الله التـي نراهـا في رومية ١: ١٨، «لأَنَّ غَضَـبَ اللهِ مُعْلَـنٌ مِـنَ السَّـمَاءِ عَـلَى جَمِيـعِ فُجُـورِ النَّـاسِ وَإِثْمِهِـمِ الَّذِيـنَ يَحْجِـزُونَ الْحَـقَّ بِالإِثْـمِ». ومـن ثَـمَّ، ففـي حـين ليـس كلُّ ألمٍ هـو دينونـةً خاصَّـةً عـلى خطايـا معيَّنـة، فبعـض الألم هـو كذلـك بالفعـل.

## فلْنفحَصْ أنفسنا

وهكـذا، فـإنَّ فـيروس كورونـا ليـس ببسـاطةٍ عقوبةً صريحـةً على أيِّ إنسـان؛ فقـد يمـوت مؤمـنٌ مُحِـبٌّ جـدًّا، وممتلـئ مـن الـروح القـدس، نـالَ غفـران خطايـاه بالمسـيح، مـن جـرَّاء فـيروس كورونـا. لكـنْ حـريٌّ بنـا أن يفحـصَ كلٌّ منَّـا قلبـه حتَّـى نميِّـزَ مـا إذا كان ألمُنـا دينونـةً مـن الله عـلى سـلوكنا أم لا.

إنْ كنَّـا قـد أتينـا إلى المسـيح، فسـنتيقَّن أنَّ ألمنـا ليـس دينونـةً عقابيَّـةً مـن الله. ونسـتطيع التيقُّـن مـن ذلـك؛ لأنَّ يسـوع قـال: «مَـنْ يَسْـمَعُ كلامِـي وَيُؤْمِـنُ بِالَّـذِي أَرْسَـلَنِي فَلَـهُ حَيَـاةٌ أَبَدِيَّـةٌ **وَلا يَـأْتِي إِلَى دَيْنُونَـةٍ** بَـلْ قَـدِ انْتَقَـلَ مِـنَ الْمَـوْتِ إِلَى الْحَيَـاةِ» (يوحنَّـا ٥: ٢٤). فـلا شيءَ مـن الدينونـة عـلى الذيـن هـم في المسـيح يسـوع (روميـة ٨: ١). وهكـذا فـإنَّ هـذا تأديـبٌ، وليـس قضـاءً وإهـلاكًا: «لأَنَّ الَّـذِي يُحِبُّـهُ الـرَّبُّ يُؤَدِّبُـهُ، وَيَجْلِـدُ كُلَّ ابْـنٍ يَقْبَلُـهُ» (عبرانيِّـين ١٢: ٦).

# الفصل الثامن:
# نداءُ صحوةٍ للاستعداد للمجيء الثاني

## الإجابة الثالثة

إنَّ فيروس كورونا هو نداءُ صحوة آتٍ من
الله كي نستعدَّ للمجيء الثاني للمسيح.

مع أنَّ تاريخ الكنيسة حافلٌ بالنبوَّات التي لم تتحقَّق عن نهاية العالم، فإنَّ المجيء الثاني ليسوع المسيح يظلُّ حقيقةً. قال الملاك عند انطلاق يسوع إلى السماء: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الْجَلِيلِيُّونَ مَا بَالُكُمْ وَاقِفِينَ تَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ؟ إِنَّ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي هَكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقًا إِلَى السَّمَاءِ» (أعمال الرسل ١: ١١).

وعند مجيء يسوع ثانية، سوف يَدين العالم:

«وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ مَعَهُ فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ. وَيَجْتَمِعُ أَمَامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ فَيُمَيِّزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ كَمَا يُمَيِّزُ الرَّاعِي الْخِرَافَ مِنَ الْجِدَاءِ» (متَّى ٢٥: ٣١-٣٢).

وأولئك غير المستعدِّين للقاء المسيح، سيصادفهم ذلك اليوم بغتة:

«فَاحْتَرِزُوا لأَنْفُسِكُمْ لِئَلَّا تَثْقُلَ قُلُوبُكُمْ فِي خُمَارٍ وَسُكْرٍ وَهُمُومِ الْحَيَاةِ فَيُصَادِفَكُمْ ذَلِكَ الْيَوْمُ بَغْتَةً» (لوقا ٢١: ٣٤).

## أوجاع المخاض

قال يسوع إنَّه ستكونُ هناك مؤشِّرات إلى مجيئه — كالحروب والمجاعات والزلازل (متَّى ٢٤: ٧)- ودعا هذه العلامات «الأَوْجَاع [أوجاع المخاض]» (متَّى ٢٤: ٨). يصوِّر هذا الأرضَ وكأنَّها امرأة في مخاض، تحاول أن تُنجبَ العالمَ الجديد، الذي سيوجدُه يسوعُ بمجيئه.

استخدمَ بولس هذه الصورة نفسها في رومية ٨: ٢٢، ونسب أوجاع المخاض إلى **جميع** أنَّاتِ هذا الدهر — أي جميع مآسي الكوارث والأمراض (من قبيل فيروس كورونا). وقال إنَّنا، نحن المؤمنين، في أمراضنا وبلايانا، جزءٌ من أوجاع مخاض هذا العالم. فإنَّنا نئنُّ منتظرين فداء أجسادنا عند مجيء يسوع، حين سيُقيمُ الأموات، ويعطينا أجسادًا جديدةً ممجَّدة (فيلبِّي ٣: ٢١).

«لأَنَّ الْخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضًا سَتُعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ إِلَى حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلادِ اللهِ. فَإِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْخَلِيقَةِ تَئِنُّ **وَتَتَمَخَّضُ** مَعًا إِلَى الآنَ. وَلَيْسَ هَكَذَا فَقَطْ بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا بَاكُورَةُ الرُّوحِ نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضًا نَئِنُّ فِي أَنْفُسِنَا مُتَوَقِّعِينَ التَّبَنِّيَ فِدَاءَ أَجْسَادِنَا» (رومية ٨: ٢١-٢٣).

## اسهروا!

هذه هي الفكرة التي أودُّ طرحَها: يريدنا يسوع أن نختبرَ أوجاع المخاض (بما في ذلك أوجاع فيروس كورونا) لتكونَ أشبَه بتذكيرٍ وتنبيهٍ

لنا بأنَّه آتٍ، وبأنَّنا نحتاج إلى الاستعداد: «لِذَلِكَ كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مُسْتَعِدِّينَ لأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لا تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الإِنْسَانِ» (متَّى ٢٤: ٤٤).

ليس عليك أن تكونَ من المهووسين بتحديد تاريخ محدَّد للمجيء الثاني حتَّى تُثبِتَ أنك تأخذُ كلامَ يسوع على مَحمَل الجِدّ. فإنَّ ما يقوله يسوع واضحٌ ولا لبس فيه: «انْظُرُوا! **اسْهَرُوا** وَصَلُّوا لأَنَّكُمْ لا تَعْلَمُونَ مَتَى يَكُونُ الْوَقْتُ ... **اسْهَرُوا** إِذًا لأَنَّكُمْ لا تَعْلَمُونَ مَتَى يَأْتِي رَبُّ الْبَيْتِ ... وَمَا أَقُولُهُ لَكُمْ أَقُولُهُ لِلْجَمِيعِ: **اسْهَرُوا**» (مرقس ١٣: ٣٣-٣٧).

الرسالةُ واضحةٌ تمامًا: اسهروا! اسهروا! اسهروا! وتهدفُ أوجاعُ مخاض العالم الطبيعيِّ إلى إبلاغنا بهذه الرسالة. لكن، للأسف، ما أكثر غير الساهرين! فمع جميع نشاطاتهم المحمومة، فهم يَغطُّون في نومٍ عميقٍ من جهة مجيء يسوع المسيح. إنَّ الخطرَ شديدٌ وماحق، وفيروس كورونا هو نداءُ صحوةٍ رحيمٌ كي نستعدّ.

يعني استعدادنا أن نأتيَ إلى يسوع المسيح، وننالَ غفران الخطايا، ونسلكَ في نوره. حينئذٍ، نكون ضمنَ الذين ليسوا:

> «فِي ظُلْمَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكُمْ ذَلِكَ الْيَوْمُ كَلِصٍّ. جَمِيعُكُمْ أَبْنَاءُ نُورٍ... فَلَا نَنَمْ إِذًا ... بَلْ لِنَسْهَرْ وَنَصْحُ، لأَنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْنَا لِلْغَضَبِ، بَلْ لاقْتِنَاءِ الْخَلاصِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي مَاتَ لأَجْلِنَا، حَتَّى إِذَا سَهِرْنَا أَوْ نِمْنَا نَحْيَا جَمِيعًا مَعَه» (١تسالونيكي ٥: ٤-١٠).

# الفصل التاسع:
# إعادةُ تناغُمنا مع القيمة غير المحدودة للمسيح

## الإجابة الرابعة

إنَّ فيروس كورونا هو نداءٌ رعديٌّ من الله لنا
جميعًا، حتَّى نتوبَ ونُعيدَ حياتنا إلى تناغُمها
مع القيمة غير المحدودة للمسيح.

ليس فيروس كورونا في حدِّ ذاته دعوةً فريدةً إلى التوبة، بل في الحقيقة تُعدُّ جميعُ الكوارث الطبيعيَّة — سواء الفيضانات أم المجاعات أم هجمات الجراد أم أمواج تسونامي أم الأمراض — دعواتِ الله المؤلمةَ والرحيمةَ إلى التوبة.

يتَّضح لنا ذلك من ردِّ يسوع في لوقا ١٣: ١-٥ على سؤال طُرِح عليه بشأن إحدى الكوارث:

«وَكَانَ حَاضِرًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ قَوْمٌ يُخْبِرُونَهُ عَنِ الْجَلِيلِيِّينَ الَّذِينَ خَلَطَ بِيلاَطُسُ دَمَهُمْ بِذَبَائِحِهِمْ. فَقَالَ يَسُوعُ لَهُمْ: أَتَظُنُّونَ أَنَّ هَؤُلاَءِ الْجَلِيلِيِّينَ كَانُوا خُطَاةً أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ الْجَلِيلِيِّينَ لأَنَّهُمْ كَابَدُوا مِثْلَ هَذَا؟ كَلَّا أَقُولُ لَكُمْ. بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذَلِكَ تَهْلِكُونَ. أَوْ أُولَئِكَ الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ الَّذِينَ سَقَطَ عَلَيْهِمُ

الْـبُرْجُ فِي سِـلْوَامَ وَقَتَلَهُـمْ أَتَظُنُّـونَ أَنَّ هَـؤُلاَءِ كَانُـوا مُذْنِبِـينَ أَكْـثَرَ مِـنْ جَمِيـعِ النَّـاسِ السَّـاكِنِينَ فِي أُورُشَـلِيمَ؟ كَلَّا أَقُـولُ لَكُـمْ! بَـلْ إِنْ لَـمْ تَتُوبُـوا فَجَمِيعُكُـمْ كَذَلِـكَ تَهْلِكُـونَ».

قتـل بيلاطـس أناسًـا كانـوا يتعبَّـدون في الهيـكل، وكذلـك سـقط بـرجٌ في سـلوام، أودى بحيـاة ثمانيـة عـشر شـخصًا مـن المـارَّة. كانـت إحـدى الكارثتَين ناتجـةً عـن شرِّ الإنسـان، في حـين كانـت الأخـرى مجـرَّدَ حـادثٍ، عـلى مـا يبـدو.

## معنى البليَّة لك

أراد الجمـوع أن يعرفـوا مـن يسـوع معنـى هـذه الأحـداث، ومـا إذا كانـت فعـلَ دينونـةٍ خاصَّـةٍ مـن الله عـلى خطايـا معيَّنـة. لكـنَّ إجابـةَ يسـوعَ كانت مذهلـة؛ فقـد اسـتخلص مـن هاتَـين الكارثتَـين معنًـى يخـصُّ الجميـع، وليـس فقـط الذيـن ماتـوا، قائـلًا: «كلَّا، لم يكـن الذيـن قُتلـوا عـلى يـد بيلاطـس، أو الذيـن سُـحِقوا تحـت الـبرج، خطـاةً أشرَّ منكـم أنتـم».

منكـم؟ لمـاذا أثـار يسـوع هنـا مسـألة **خطاياهـم**؟ لم يكُـنِ الجمـوع يطلبـون رأيـه بشـأن **خطاياهـم**؛ فقـد انتابهـم الفضـولُ بشـأن الآخريـن، وأرادوا أن يعرفـوا مـا كانـت تعنيـه هـذه الكـوارث لضحاياهـا، وليـس لهـم.

هـذا مـا جعـلَ إجابـةَ يسـوع مذهلـةً وعجيبـة؛ فقـد قـال مـا مضمونـه إنَّ معنـى هـذه الكـوارث يخـصُّ **الجميـع**. وكانـت رسـالته هـي: «توبـوا، وإلَّا سـتهلِكون»، مكـرِّرًا إيَّاهـا مرَّتَـين: «بَـلْ إِنْ لَـمْ تَتُوبُـوا فَجَمِيعُكُـمْ كَذَلِـكَ تَهْلِكُـونَ» (لوقـا ١٣: ٣)، «بَـلْ إِنْ لَـمْ تَتُوبُـوا فَجَمِيعُكُـمْ كَذَلِـكَ تَهْلِكُـونَ» (١٣: ٥).

## دعوةٌ رحيمةٌ بينما لا يزال هناك وقتٌ

ماذا فعل يسوع هنا؟ كان يسوع يُعيدُ توجيهَ دهشة الناس؛ فالدهشةُ التي دفعَتْ هؤلاء إلى طَرْح سؤالهم على يسوع كانت في غير محلِّها. لقد اندهشوا؛ لأنَّ بعضَ الناس قُتِلوا بهذه القسوة، وبعضهم الآخر سُحِقوا بلا هدف أو معنى. لكنَّ يسوعَ قال لهم: «أريدُكم أن تندهشوا **لأنَّكم** لم تكونوا ضمن هؤلاء الذين قُتلوا أو سُحِقوا تحت البرج. ففي حقيقة الأمر، إنْ لم تتوبوا، ستواجهون أنتم أنفسكم دينونةً كهذه يومًا ما».

بالاستناد إلى ذلك، أستطيعُ استنتاجَ أنَّ الله يوجِّه إلينا رسالةً رحيمةً وسط مثل هذه الكوارث، وهي: أنَّنا جميعًا خطاة، متَّجهون صَوب الهلاك، وليسَتِ الكوارث سوى دعوةٍ رحيمةٍ من الله لنتوبَ ونَخلُص بينما لا يزال هناك وقتٌ. فقد حوَّل يسوع نظرَه من الأموات إلى الأحياء، وقال ما مفاده: «يجب ألَّا نتكلَّم عن الأموات، بل عنكم **أنتم**. هذا أمرٌ أكثرُ إلحاحًا؛ فما حدث لهم يتعلَّق **بكم أنتم**. لا تكمُن أكبر مشكلاتكم في **خطيَّتهم** هم، بل في **خطيَّتكم** أنتم». وأعتقد أنَّ هذه هي رسالة الله للعالم وسط وباء فيروس كورونا هذا. فهو يدعو العالم إلى التوبة بينما لا يزال هناك وقتٌ.

## ما معنى التوبة؟

فلنكُنْ أكثرَ تحديدًا. ما معنى كلمة **توبة**؟ تعني هذه الكلمة في العهد الجديد تغييرًا في القلب والذهن، وهو ليس تغييرًا سطحيًّا في الرأي، بل تحوُّلٌ داخليٌّ عميق، يجعلنا ندركُ ونقدِّر القيمةَ الحقيقيَّة لله ويسوع المسيح. وصف يسوع هذا التغيير كالتالي:

> «فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ» (متَّى ٢٢: ٣٧)

«مَـنْ أَحَـبَّ أَبًـا أَوْ أُمًّـا أَكْـثَرَ مِنِّـي فَـلا يَسْـتَحِقُّنِي. وَمَـنْ أَحَـبَّ ابْنًـا أَوِ ابْنَـةً أَكْـثَرَ مِنِّـي فَـلا يَسْـتَحِقُّنِي» (متَّـى ١٠: ٣٧).

بمعنـى آخـر، أهـمُّ تغيـير في القلـب والذهـن تدعـو إليـه التوبـة هـو أن نقـدِّر قيمـةَ الله، ونتعلَّـق بـه مـن كلِّ كِياننـا، وأن نقـدِّرَ أيضًـا قيمـةَ يسـوع، ونتعلَّـق بـه فـوق أيَّـةِ علاقـةٍ أخـرى.

## لمَ قد يهدِّدنا يسوع بالهلاك؟

يعـود سـبب قَـول يسـوع إنَّنـا إنْ لم نتُـبْ فجميعنـا كذلـك نَهلِـك إلى أنَّنـا جميعًـا اسـتبدَلْنا بـالله، الـذي هـو كنزنـا، أمـورًا أقـلَّ قيمـةً منـه، وأحبَبْناهـا أكـثر منـه (رومية ١: ٢٢-٢٣)، وإلى أنَّنـا تعاملنـا جميعًـا مـع يسـوع كـما لـو كان أقـلَّ جاذبيَّـةً مـن المـال والتسـلية والأصدقـاء والعائلـة. لَسْـنا نسـتحقُّ جميعًـا الهـلاكَ؛ لأنَّنـا خالفْنـا قائمـةً مـن القواعـد، بـل لأنَّنـا ازدرَينـا بقيمـةٍ غـير محـدودة — بالقيمـةِ غـير المحـدودة لله في يسـوع المسـيح.

## الانتباه إلى تفضيلاتنا الانتحاريَّة

تعنـي التوبـة إذًا أن ننتبـهَ جيِّـدًا إلى تفضيلنـا الانتحـاريِّ للنحـاس عـلى الذهـب، وللأساسـات الرمليَّـة عـلى الصخـر المتـين، وللَّعـب في قنـوات ميـاه الـصرف عـلى قضـاء عطلـةٍ عـلى شـاطئ البحـر. كتـب سي. أس. لِويـس هـذه الكلـمات:

«نحـن مخلوقـاتٌ فاتـرةُ القلـب، تُضيِّـع حياتَهـا في السُّـكر والطمـوح والعلاقـات الجنسـيَّة بينـما يُعـرَض علينـا **فـرحٌ غـير محـدود**. فإنَّنـا نشـبه طفـلًا جاهـلًا يرغـب في الاسـتمرار في صُنْـع فطائـرَ مـن الطـين في حـيٍّ فقـير؛ لأنَّـه لا يسـتطيع تخيُّـل معنـى عـرضٍ مقـدَّم لـه بقضـاء عطلـة عـلى شـاطئ البحـر. فنحـن نـرضى بأقـلِّ القليـل بسـهولةٍ زائـدةٍ عـن الحـدّ».[٨]

«هـذا الفـرح غـير المحـدود» الـذي تحـدَّث لِويـس بشـأنه هـو أن نختـبرَ رؤيـةَ قيمـةِ المسـيح وجمالـه وعظمتـه، والاسـتمتاع بمذاقهـا، والتحـدُّث عنهـا.

## دَفْعُنا إلى الاتِّكال على المسيح

مـا يفعلـه الله بواسـطة فـيروس كورونـا هـو أنَّـه يُرينـا — بصـورةٍ واضحـةٍ ومؤلمـة — أنْ لا شيءَ في هـذا العـالم يمنحنـا الأمـانَ والشـبع اللذَيـن نجدهـما في عَظَمـة المسـيح وقيمتـه غـير المحدودتَين. فقـدِ انتـزعَ هـذا الوبـاء العالميُّ منَّـا حرِّيَّـة الحركـة والعمـل وعلاقاتنـا بالآخريـن وجهًـا لوجـه، كـما انتـزع أمانَنـا وراحتَنـا، وربَّمـا ينتـزعُ في النهايـة حياتَنـا.

ويعرِّضنـا الله لمثـل هـذه الخسـائر كي يدفعَنـا إلى الاتِّـكال عـلى المسـيح. بتعبـيرٍ آخـر، يجعـلُ الله مـن البليَّـة فرصـةً ليقـدِّمَ المسـيحَ إلى العـالم؛ لأنَّ عظمـةَ المسـيح الفائقـة والمشـبِعة إلى التـمام تتجـلَّى بمزيـدٍ مـن البريـق حـين يحفـظُ المسـيحُ فرحَنـا في خِضَـمِّ الألم.

## عطيَّةُ اليأس

فكِّـر معـي، مثـلًا، في السـبب الـذي لأجلـه أوصـلَ الله بولـس إلى حـدِّ اليـأس من الحياة:

> «فَإِنَّنَـا لا نُرِيـدُ أَنْ تَجْهَلُـوا أَيُّهَـا الإِخْـوَةُ مِـنْ جِهَـةِ ضِيقَتِنَـا الَّتِـي أَصَابَتْنَـا فِي أَسِـيَّا، أَنَّنَـا تَثَقَّلْنَـا جِـدًّا فَـوْقَ الطَّاقَـةِ، حَتَّـى أَيِسْـنَا مِـنَ الْحَيَـاةِ أَيْضًـا. لَكِـنْ كَانَ لَنَـا فِي أَنْفُسِـنَا حُكْـمُ الْمَـوْتِ، لِـكَيْ لا نَكُـونَ مُتَّكِلِـينَ عَـلَى أَنْفُسِـنَا بَـلْ عَـلَى اللهِ الَّـذِي يُقِيـمُ الأَمْـوَاتَ»
> (٢كورنثوس ١: ٨-٩)

لم يكـن بولـس يـرى أنَّ اختبـارَ اليـأس مـن الحيـاة هـذا شـيطانيٌّ أو عشـوائيّ، بـل رأى أنَّ لـه غرضًـا وقصـدًا، وأنَّ هـذا القصـدَ هـو قصـدُ الله؛ فـإنَّ هـذه

الخبرة التي هدَّدتْ حياتَه كانت «لِكَيْ لا نَكُونَ مُتَّكِلِينَ عَلَى أَنْفُسِنَا بَلْ عَلَى اللهِ الَّذِي يُقِيمُ الأَمْوَاتَ» (٢كورنثوس ١: ٩).

هذه هي رسالة فيروس كورونا: توقَّفوا عن الاتِّكال على أنفسكم والتفتوا إلى الله. لا يمكنكم حتَّى أن **تمنعوا** الموت، لكنَّ الله يستطيع أن **يُقيمَ** الأموات. وقطعًا، لا يعني «الاتِّكال على الله» أن يصيرَ المؤمنون خاملين وسلبيِّين. لم يكُنِ المؤمنون يومًا خاملين أو سلبيِّين، بل يعني أن يصيرَ أساسُ كلِّ ما نفعله ونموذجُه وهدفُه هو الله. كما قال بولس: «بَلْ أَنَا تَعِبْتُ أَكْثَرَ مِنْهُمْ جَمِيعِهِمْ. وَلَكِنْ لا أَنَا بَلْ نِعْمَةُ اللهِ الَّتِي مَعِي» (١كورنثوس ١٥: ١٠).

يدعونا فيروس كورونا لأنْ نجعلَ الله الحقيقةَ السائدةَ والأهمَّ في حياتنا. فإنَّ حياتَنا تعتمدُ عليه أكثرَ ممَّا تعتمدُ حتَّى على أنفاسنا. وفي بعض الأحيان، يحبسُ الله أنفاسَنا حتَّى يجعلنا نرتمي على صدره.

## معنى الأشواك

فلنتأمَّلْ معًا أيضًا في قصد الله من شوكةِ بولسَ المؤلمة التي أصابَتْه في جسده:

> «وَلِئَلَّا أَرْتَفِعَ بِفَرْطِ الإِعْلاَنَاتِ، أُعْطِيتُ شَوْكَةً فِي الْجَسَدِ، مَلاَكَ الشَّيْطَانِ، لِيَلْطِمَنِي لِئَلَّا أَرْتَفِعَ. مِنْ جِهَةِ هَذَا تَضَرَّعْتُ إِلَى الرَّبِّ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ أَنْ يُفَارِقَنِي. فَقَالَ لِي: «تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضُّعْفِ تُكْمَلُ». فَبِكُلِّ سُرُورٍ أَفْتَخِرُ بِالْحَرِيِّ فِي ضَعَفَاتِي، لِكَيْ تَحِلَّ عَلَيَّ قُوَّةُ الْمَسِيحِ» (٢كورنثوس ١٢: ٧-٩).

لقد بورك بولس بإعلاناتٍ عظيمة. وبينما رأى الله في ذلك خطورةَ الكبرياء، رأى الشيطان خطورةَ الحقِّ والفرح. لكنْ تَحَكَّمَ الله في مخطَّطات الشيطان، بحيث إنَّ ما ظنَّ الشيطان أنَّه سيفسدُ شهادةَ بولس ويخرِّبها قد أثمر في الواقع اتِّضاعًا وسرورًا لدى بولس. أصيبَ

بولس بشوكةٍ في الجسد — «مَلاكَ [أو رسول] الشَّيْطَانِ» — لكنَّها كانت في الواقع رسولًا من الله. ورُغمَ أنَّنا لا نعرفُ ما كانت عليه طبيعة هذه الشوكة، فإنَّنا نعرفُ جيِّدًا أنَّ الأشواكَ مؤلمة، وأنَّ بولس تضرَّعَ إلى الربِّ ثلاثَ مرَّاتٍ كي تفارقه تلك الشوكة.

لكنَّ الربَّ لم يفعل ذلك؛ إذ كان لديه قصدٌ من هذا الألم: «لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضُّعْفِ تُكْمَلُ» (٢كورنثوس ١٢: ٩). كان قصده أن يشعَّ المسيح، بواسطة إيمان بولس وفرحه غير المتزعزعَين، بصفته أفضلَ وأعلى قيمةً من الصحَّة ذاتها. وماذا كان ردُّ فعل بولس تُجاهَ هذا القصد؟ «بِكُلِّ **سُرُورٍ** أَفْتَخِرُ بِالْحَرِيِّ فِي ضَعَفَاتِي» (٢كورنثوس ١٢: ٩).

بكلِّ سرور! كيف يمكن أن يكونَ هذا؟ لماذا كان بولس على استعداد لأنْ يقبلَ شوكتَه بسرور؟ لأنَّ هدفَه الأكبر في الحياة كان أن يتعظَّم المسيح في جسده، سَوَاءٌ كَانَ بِحَيَاةٍ أَمْ بِمَوْتٍ (فيلبِّي ١: ٢٠). كان هذا هو مصدرَ فرح بولس وسروره — أن يرى جمال المسيح، ويقدِّرَ قيمته بصفته كنزَه الفائق، وأن يُظهِر للعالم أنَّ يسوعَ أفضلُ من الصحَّة والحياة. هناك قصيدة رائعة بعنوان «الشوكة» (The Thorn) ، كتبتها مارثا سنيل نيكولسون (Martha Snell Nicholson)، والتي عاشَتْ ما بين عامَي ١٨٩٨ و١٩٥٣م، وتُختَتَم بهذه الكلمات:

«تعلَّمتُ أنَّه لا يعطي شوكةً بتاتًا دون نعمةٍ إضافيَّة؛
فهو يعطي الشوكة كي يزيحَ الحجابَ الذي يُخفي وجهه».

## في الخسارة ربحٌ

قَبِل بولس أن يخسرَ؛ لأنَّه يربح المسيح أكثر فأكثر بهذه الخسارة:

«بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ» (فيلبِّي ٣: ٨).

هذا هو إذًا معنى التوبة: أن تختبرَ تغييرًا في القلب والذهن، يقدِّر قيمةَ الله في المسيح، ويراه أفضلَ من الحياة ذاتها. «لأَنَّ رَحْمَتَكَ **أَفْضَلُ مِنَ الْحَيَاةِ**. شَفَتَايَ تُسَبِّحَانِكَ» (مزمور ٦٣: ٣). كان هذا هو إيمانَ بولس، وكان هذا الإيمانُ حقيقيًّا في الحياة وفي الموت: في الحياة؛ لأنَّ المسيح هو حلاوةُ أيَّةِ لذَّة، وأفضل من أيَّة لذَّة، وفي الموت؛ لأنَّ «أَمَامَكَ [أمام الله] شِبَعُ سُرُورٍ. فِي يَمِينِكَ نِعَمٌ إِلَى الأَبَدِ» (مزمور ١٦: ١١).

إنَّ وباءَ كورونا هو اختبار خسارة — من أبسط خسارةٍ لوسائل الراحة، وحتَّى أكبر خسارة للحياة نفسها. وإذا استطعنا أن نعرفَ سرَّ فرح بولس، فسوف نجتاز هذه الخسارة حاسبين إيَّاها ربحًا. هذا ما يقوله الله للعالم: توبوا، وأَعيدوا تناغُمَكم مع القيمة غير المحدودة للمسيح.

# الفصل العاشر:
# إيجاد أعمالٍ حَسَنةٍ وسطَ الخطر

## الإجابة الخامسة

إنَّ فيروس كورونا هو دعوةُ الله الموجَّهة إلى شعبه كي يتغلَّبوا على رثاء النفس والخوف، ويمارسوا أعمالَ المحبَّة الحَسَنة التي تمجِّد الله بفرح متَّسم بالشجاعة.

علَّم يسوع أتباعه قائلًا: «فلْيُضِئْ نُورُكُمْ هَكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (متَّى ٥: ١٦). لكنْ عادةً ما يفوتنا أن نلاحظَ أنَّ ملوحةَ أتباع المسيح للأرض، وبريقهم كنورٍ للعالم يزدادان حين يمارسون هذه الأعمال الحَسَنة حتَّى وسط الألم والمعاناة.

## اللمعان وسط ظُلمة الخطر

كان يسوع قد قال لتلاميذه قبل تلك الآية بقليل: «طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ مِنْ أَجْلِي كَاذِبِينَ.

افْرَحُوا وَتَهَلَّلُوا لأَنَّ أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ فِي السَّمَاوَاتِ» (متَّى ٥: ١١-١٢). ثمَّ تابعَ، دون أيِّ فاصل، قائلًا: «أَنْتُمْ مِلْحُ الأَرْضِ ... أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ» (متَّى ٥: ١٣-١٦).

ليست إذًا الأعمال الحسنة فحسب هي التي تُضفي على المسيحيَّة نكهتَها القويَّة وبريقها، بل أيضًا الأعمال الحسنة رغم الخطر. كثيرون من غير المسيحيِّين يمارسون أعمالًا حَسَنة، لكنْ نادرًا ما يمجِّد الناسُ الله بسببها.

صحيحٌ أنَّ الخطرَ في الأصحاح الخامس من إنجيل متَّى كان الاضطهاد، وليس المرض، لكنَّ المبدأ واحدٌ في كلتا الحالتَين. تشير أعمال المحبَّة في خِضَمِّ الخطر، سواء كان المرض أم الاضطهاد، بأشدِّ وضوحٍ إلى حقيقةِ أنَّ هذه الأعمال مؤيَّدةٌ برجاءٍ في الله. مثلًا، قال يسوع:

> «بَلْ إِذَا صَنَعْتَ ضِيَافَةً فَادْعُ الْمَسَاكِينَ: الْجُدْعَ الْعُرْجَ الْعُمْيَ فَيَكُونَ لَكَ الطُّوبَى إِذْ لَيْسَ لَهُمْ حَتَّى يُكَافُوكَ لأَنَّكَ تُكَافَى فِي قِيَامَةِ الأَبْرَارِ» (لوقا ١٤: ١٣-١٤).

فإنَّ الرجاء في الله من جهةِ ما بعد الموت («لأَنَّكَ تُكَافَى فِي قِيَامَةِ الأَبْرَارِ») هو الذي يدعم ويؤيِّد بالقوَّة الأعمال الحسنة، التي لا تنتظر أيَّة مكافأةٍ في هذا العالم. وينطبقُ الأمرُ ذاته على الأعمال الحسنة التي تضعُنا في خطر، ولا سيَّما خطر الموت.

## الكيفيَّة التي طبَّق بها بطرسُ تعليمَ يسوع

استفاضَ الرسول بطرس، أكثر من أيِّ كاتبٍ آخرَ في العهد الجديد، في حديثه بشأن تعليم يسوع الواضح عن الأعمال الحسنة:

«وَأَنْ تَكُونَ سِيرَتُكُمْ بَيْنَ الأُمَمِ حَسَنَةً، لِكَيْ يَكُونُوا فِي مَا يَفْتَرُونَ عَلَيْكُمْ كَفَاعِلِي شَرٍّ يُمَجِّدُونَ اللهَ فِي يَوْمِ الافْتِقَادِ، مِنْ أَجْلِ أَعْمَالِكُمُ الْحَسَنَةِ الَّتِي يُلاَحِظُونَهَا» (١بطرس ٢: ١٢).

كذلك، طرحَ بطرس الرسول فكرةَ الأعمال الحسنة التي تُمارَسُ وسط الخطر قائلًا: «فَإِذًا، الَّذِينَ يَتَأَلَّمُونَ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ فَلْيَسْتَوْدِعُوا أَنْفُسَهُمْ كَمَا لِخَالِقٍ أَمِينٍ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ» (١بطرس ٤: ١٩). بمعنى آخر، لا تدعِ احتماليَّة الألم أو حقيقتَه تحولُ دون ممارستِك الأعمالَ الحسنة.

## مات المسيح كي يوجِدَ أعمالًا حسنةً وسط الخطر

ربطَ بطرس هذا النوع الجديد من الحياة بموت يسوع عن خطايانا: «الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ [المسيح] خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ، لِكَيْ نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا **فَنَحْيَا لِلْبِرِّ**» (١بطرس ٢: ٢٤). فبسبب المسيح، يُميتُ المؤمنون الخطيَّة، وينكبُّون على ممارسةِ أعمال البرِّ الصالحة.

وقد أقامَ بولس الرسول هذه الصِّلةَ نفسَها ما بين موت يسوع وغَيرة المؤمنين في الأعمال الحسنة، حين قال: «الَّذِي بَذَلَ نَفْسَه [المسيح] لأَجْلِنَا، لِكَيْ يَفْدِينَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْبًا خاصًّا **غَيُورًا فِي أَعْمَالٍ حَسَنَةٍ**» (تيطس ٢: ١٤).

كذلك، أوضح بولس أنَّ هذه الأعمال الحسنة موجَّهة إلى المؤمنين وغير المؤمنين. «فَإِذًا حَسْبَمَا لَنَا فُرْصَةٌ فَلْنَعْمَلِ الْخَيْرَ **لِلْجَمِيعِ**، وَلا سِيَّمَا لأَهْلِ الإِيمَانِ» (غلاطِيَّة ٦: ١٠)، «انْظُرُوا أَنْ لا يُجَازِيَ أَحَدٌ أَحَدًا عَنْ شَرٍّ بِشَرٍّ، بَلْ كُلَّ حِينٍ اتَّبِعُوا الْخَيْرَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ **وَلِلْجَمِيعِ**» (١تسالونيكي ٥: ١٥).

## يتعظَّم المسيح في اللطف المجازِف

إنَّ الهدفَ الأساسيَّ الذي عيَّنه الله لشعبه هو أن يمجِّدوا عَظَمَتَه، ويعظِّموا قيمةَ ابنه، يسوع المسيح، «فَإِذَا كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ أَوْ تَشْرَبُونَ أَوْ تَفْعَلُونَ شَيْئًا فَافْعَلُوا كُلَّ شَيْءٍ لِمَجْدِ اللهِ» (١كورنثوس ١٠: ٣١)، «حَسَبَ انْتِظَارِي وَرَجَائِي ... يَتَعَظَّمُ الْمَسِيحُ فِي جَسَدِي، سَوَاءٌ كَانَ بِحَيَاةٍ أَمْ بِمَوْتٍ» (فيلبِّي ١: ٢٠). فالهدفُ هو أن يتمجَّد الله في كلِّ شيء، وأن يتعظَّمَ المسيح في الحياة والموت أيضًا. هذا هو الهدفُ الأسمى المعيَّن من الله للحياة البشريَّة.

وهكذا، فإنَّ أحدَ مقاصد الله من فيروس كورونا هو أن يعملَ شعبُه على إماتةِ رثاءِ النفس والخوف، ويَهَبوا أنفسهم للأعمال الحسنة وسط الخطر. فالمؤمنون يَميلون أكثرَ إلى تسديد الحاجات، لا نحو الراحة؛ وإلى المحبَّة، لا نحو الشعور بالأمان. هكذا هو مخلِّصنا، وهذا ما مات لأجله.

## مثالٌ من الكنيسة الأولى

تحدَّث رودني ستارك (Rodney Stark)، في كتابه بعنوان: «انتصارُ المسيحيَّة» (*The Triumph of Christianity*) بأنَّ المبدأ الأهمَّ الذي سادَ في القرون الأولى للكنيسة المسيحية هو «أنَّ المحبَّة المسيحيَّة وأعمال الخير ينبغي أن تتجاوزَ حدودَ العائلة، بل أيضًا حدودَ دائرة المؤمنين، لتصلَ إلى كلِّ المحتاجين».[٩]

ضُرِبتِ الإمبراطوريَّة الرومانيَّة بوباءَين في العامَين ١٦٥ و٢٥١م. وخارج الكنيسة المسيحية، لم يكُنْ هناك أيُّ أساسٍ ثقافيٍّ أو دينيٍّ يدعو إلى الرحمة والبذل. «لم يكن هناك إيمانٌ بأنَّ الآلهة يكترثون بشؤون البشر»[١٠]، «وكانت الرحمة تُعدُّ خللًا في الشخصية، والشفقةُ عاطفةً مَرَضيَّة؛ لأنَّ الرحمة تتعلَّق بتقديم مساعدة أو نجدةٍ **غير مستحَقَّة**، وهذا نقيض العدل».[١١]

وهكـذا بينـما كان ثُلـث الإمبراطوريَّـة يهلِـك جـرَّاء المـرض، هـربَ الأطبَّـاء إلى أراضيهـم في الريـف، وكان الذيـن تظهـر عليهـم الأعـراض يُطـرَدون مـن البيـوت، وهجـرَ الكهنـةُ المعابـد. لكـن قـال سـتارك: «ادَّعـى المسـيحيُّون أنَّ لديهـم كافَّـة الأجوبـة، والأهـمُّ مـن ذلـك، أنَّهـم تحرَّكـوا، وتصرَّفـوا عـلى نحـوٍ سـليم».[١٢]

تضمَّنـت **الأجوبـة** غفـران الخطايـا بواسـطة المسـيح، والرجـاء في الحياة الأبديَّـة بعـد المـوت. كانـت هـذه رسـالةً ثمينـةً في وقـتٍ مـن العجـز الطبِّـيِّ واليـأس التامّ.

أمَّـا مـن جهـة **الأفعـال**، فقـد اعتنَـتْ أعـدادٌ كبـيرةٌ مـن المسـيحيِّين بالمـرضى والمُحْتَضَريـن. وقـربُ نهايـة الوبـاء الثـاني، كتـب ديونيسـيوس، أسـقف الإسـكندريَّة، رسـالةً يشـيدُ فيهـا بأعضـاء كنيسـته، قائـلًا:

> «أظهـر معظـم إخوتنـا محبَّـة وإخلاصًـا لا حـدود لهـما، حيـث لم يبخلـوا بأنفسـهم، بـل آثَـروا غيرَهـم. وإذ لم يُلقـوا بـالًا للخطـر، تولُّـوا مسـؤوليَّة المـرضى، ملبِّـين كلَّ حاجاتهـم، ومعتَنـين بهـم في المسـيح، بـل مفارقـين معهـم أيضًـا هـذه الحيـاة في سـعادة هادئـة».[١٣]

## إسكات جهل الأباطرة

بمـرور الزمـن، تـركَ هـذا الاعتنـاء — المضـادُّ للثقافـة السـائدة والمؤيَّـد مـن المسـيح — بالمـرضى والفقـراء أثـرًا هائـلًا في رِبْـح الكثيريـن، وانتشـالهم مـن الوثنيَّـة المحيطـة بهـم. ثـمَّ بعـدَ مـرور قرنَـين، حـين أراد الإمبراطـور الرومـانيُّ جوليـان (٣٣٢-٣٦٣م) أن يُعيـدَ إحيـاءَ الديانـة الرومانيَّـة القديمـة مـرَّةً أخـرى، حاسـبًا المسـيحيَّة مصـدرَ تهديـدٍ متزايـد، كتـبَ في إحبـاط إلى رئيـس الكهنـة الرومـانيِّ في مقاطعـة غلاطِيَّـة رسـالة جـاء فيهـا:

«لقد تقدَّم الإلحاد [أي الإيمان المسيحيّ] لا سيَّما بواسطة خدمة المحبَّة التي يقدِّمها هؤلاء للغرباء، واهتمامهم بدفن الموتى. إنَّه لعارٌ وفضيحةٌ أنْ لا أحدَ من هؤلاء اليهود يستعطي، وأنَّ هؤلاءِ الجليليِّين الذين لا إله لهم [أي المسيحيِّين] يعتنون ليس فقط بفقرائهم، بل أيضًا بفقرائنا نحن، في حين يطلب الذين ينتمون إلينا المساعدة منَّا دون جدوى».[١٤]

## تخفيفُ الألم المرسَل من الله

لا يوجد تناقُضٌ بين حسباننا فيروس كورونا عملًا من الله، ودعوتنا للمؤمنين إلى المجازَفة للتخفيف من الألم الذي يتسبَّب فيه. فمنذ أن أخضعَ الله العالم للخطيَّة والشقاء عند السقوط، عيَّن وقضى أن يسعى شعبه إلى إنقاذ الهالكين، حتَّى وإنْ كان هو نفسه مَن عيَّن دينونةَ الهلاك. فقد جاء الله نفسه إلى العالم في يسوع المسيح حتى ينجِّيَ البشر من دينونته العادلة (رومية ٥: ٩). هذا هو معنى صليب المسيح.

وبهذا، تشمل أعمال شعب الله الحسنة الصلاة من أجل شفاء المرضى، وحتَّى يوقِفَ الله يده، ويحوِّل عنَّا الوباء، ويدبِّر العلاج. فإنَّنا نصلِّي لله في أثناء تفشِّي فيروس كورونا، ونعمل على تخفيف الآلام التي يُسبِّبُها، تمامًا كما صلَّى إبراهام لينكولن من أجل انتهاء الحرب الأهليَّة، وعمل على إنهائها، وإنْ كان يحسبُها دينونةً من الله:

«نأملُ بشدَّةٍ- ونصلِّي بحرارة — أن تمضيَ عنَّا سريعًا كارثةُ هذه الحرب العاتية. لكنْ، إنْ شاءَ الله لها أن تستمرّ، حتَّى تُغرقَ جميع الثروات التي كوَّمها العبيد على مدى مئتين وخمسين عامًا من الكدِّ والعمل دون أجرٍ، وحتَّى يسدَّد ثمنُ كلِّ قطرةِ دماء أراقتها السياط بقطرةِ دماءٍ أخرى تراقُ

بالسيف، فإنَّنا سنظلُّ نردِّد، كما قيل منذ ثلاثة آلاف سنة: 'أَحْكَامُ الرَّبِّ حَقٌّ عَادِلَةٌ كُلُّهَا'».

لدى الله عملٌ يقوم به، وقدرٌ كبيرٌ منه محتجبٌ وسرِّيّ. كذلك، لدينا نحن أيضًا عملٌ نقومُ به. وإنْ كنَّا نثقُ بالله، ونطيع كلمته، فسوف يجعل سيادته، وكذلك خدمتنا نحن، تُتَمِّمان مقاصدَه الحكيمةَ والصالحة.

# الفصل الحادي عشر: خلخلَةُ جذورنا كي نذهب إلى الأمم

## الإجابة السادسة

بواسطة فيروس كورونا، يُخَلْخِلُ الله جذورَ
المؤمنين المستقرِّين في جميع أنحاء العالم،
كي يطلقَهم لفعل شيءٍ جديدٍ وجذريّ، وكي
يرسلهم بإنجيل المسيح إلى شعوبِ العالم
التي لم يصل إليها الإنجيل بعدُ.

ربَّما يبدو رَبْطُ فيروس كورونا بالإرساليَّات فكرةً غريبة؛ إذ نرى، على المدى القصير، فيروس كورونا يحظرُ السفر والهجرة وتقدُّم العمل المرساليّ. لكنَّني لا أفكِّر على المدى القصير؛ فلطالما استخدمَ الله الألم والاضطراباتِ التي وقعت في التاريخ لنَقْل كنيسته إلى أماكنَ كان يجب أن تذهبَ إليها. وأفترضُ أنَّه سيفعل ذلك مرَّةً أخرى ضمن التأثير طَويل المدى لفيروس كورونا.

## الاضطهاد بوصفه استراتيجيَّةً إرساليَّةً

انظر، مثلًا، كيف نقل الله شعبه خارج أورشليم في إرساليَّة إلى اليهوديَّة والسامرة. فقد أوصى يسوع تلاميذه بأن يكرزوا بالإنجيل إلى العالم أجمع، بما في ذلك «أُورُشَلِيم وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ» (أعمال الرسل ١: ٨). لكنْ بحلولِ زمنِ أحداثِ الأصحاح الثامن من سفر أعمال الرسل، بدا كما لو كانت الإرساليَّة قد توقَّفت عند أورشليم.

وماذا تطلَّب تحريكُ الكنيسة لإتمام إرساليَّتها؟ تطلَّب هذا موتَ استفانوس، والاضطهادَ الذي تَرتَّب عليه؛ فبعدَ استشهاد استفانوس مباشرةً (أعمال الرسل ٧: ٦٠)، اندلعَتْ نيرانُ الاضطهاد:

> «وَحَدَثَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ اضْطِهَادٌ عَظِيمٌ عَلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي أُورُشَلِيمَ فَتَشَتَّتَ الْجَمِيعُ فِي كُورَ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ مَا عَدَا الرُّسُلَ ... فَالَّذِينَ تَشَتَّتُوا جَالُوا مُبَشِّرِينَ بِالْكَلِمَةِ» (أعمال الرسل ٨: ١-٤).

هكذا حرَّك الله شعبه بواسطة الاستشهاد والاضطهاد. وأخيرًا، سمعت «اليهوديَّة والسامرة» الإنجيل. فإنَّ طرق الله ليسَتْ طُرُقَنا، لكنَّ نجاحَ إرساليَّته أكيدٌ وحتميّ. هذا هو ما قاله يسوع، ولا يمكن أن تسقط كلمته: «عَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا» (متَّى ١٦: ١٨)، «**وَيُكْرَزُ** بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ هَذِهِ فِي كُلِّ الْمَسْكُونَةِ شَهَادَةً لِجَمِيعِ الأُمَمِ» (متَّى ٢٤: ١٤). لم يقُلِ المسيح: «ربَّما يُكرَز»، بل قال: «يُكْرَزُ».

## الانتكاساتُ بوصفها استراتيجيَّةً للتقدُّم

ربَّما نظنُّ أنَّ وباء فيروس كورونا هو انتكاسةٌ للإرساليَّات في العالم. لكنِّي أشكُّ في ذلك؛ فكثيرًا ما تتضمَّنُ طرق الله انتكاساتٍ ظاهريَّةً يَنتُج عنها تقدُّم كبير.

في ٩ كانون الثاني/يناير من عام ١٩٨٥م، قُبِضَ على القسِّ هريستو كوليتشيف (Hristo Kulichev)، أحد رعاة الكنائس في بلغاريا، وأُلقِي في السجن. كانت جريمته تتمثَّل في تقديمه عظةً في كنيسته رغم أنَّ الحكومةَ عيَّنَتْ رجلًا آخرَ راعيًا للكنيسة، لم تنتخبْه الكنيسة. كانت محاكمتُه مهزلةً وعبثًا، وحُكِم عليه بالسجن مدَّة ثمانية أشهر. وفي أثناء الوقت الذي أمضاه هذا القسُّ في السجن، كرزَ بالمسيح بكلِّ وسيلةٍ ممكنة.

وبعد خروجه من السجن، كتبَ هذه الكلمات: «طرحَ كلٌّ من السجناء وحرَّاس السجن الكثيرَ من الأسئلة، وتبيَّنَ لي أنَّ الخدمةَ هناك كانت مثمرةً أكثرَ من الخدمة داخل الكنيسة؛ فقدِ استطعتُ أن أخدمَ الله في السجن بصورةٍ أفضل بكثيرٍ ممَّا لو كنتُ حرًّا».[١٥]

كثيرًا ما تكون هذه هي طريقة الله. فإنَّ خطورة فيروس كورونا، والنطاقَ العالميَّ لانتشاره، هو فرصةٌ أهمُّ وأعظم من أن يهدرَها الله. وهي ستخدمُ قصدَه الشامل والذي لا يُهزَم من جهة الكرازة إلى العالم. لم يسفكِ المسيح دمَه باطلًا. ونقرأ في سِفرِ الرؤيا ٥: ٩ أنَّه بذلك الدم اشترى لله شعبًا «مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ». وهو حتمًا سينال مكافأة آلامه. وحتَّى الأوبئة نفسها ستعملُ على إتمام الإرساليَّة العظمى.

# صلاةٌ ختاميَّة

أيُّها الآب،

في أفضل لحظاتِ حياتنا في جَثْسَيماني، لم يغلِبْنا النوم، بنعمتك، بل بقينا ساهرين نصغي إلى صلاةِ ابنك. فقد كان يعرف، في أعماقه، أنَّه لا بُدَّ أن يتألم، لكنَّه صرخَ في ناسوته الكامل: «إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسُ».

كذلك نحن أيضًا، نشعر في أعماقنا بأنَّ هذا الوباء معيَّن بحكمتك للخير، ولأجل إتمام مقاصدَ ضروريَّة. نحن أيضًا لا بُدَّ أن نتألَّم، لكنْ في حين كان ابنُك بريئًا، لسنا نحن كذلك.

لكنَّنا معه، في بشريَّتنا الأقلِّ من أن تكونَ كاملة، نصرخ أيضًا: «إنْ أمكن فلتَعبُرْ عنَّا هذه الكأس». يا ربَّنا، تمِّم سريعًا ذلك العمل المؤلم والعادل والرحيم الذي عزمتَ أن تفعله. لا تتوانَ في الدينونة، ولا تؤخِّر رحمتك. اذكر البائسين، يا ربّ، حسب رحمتك. ولا تنسَ صراخَ المساكين. أعط شفاءً، ودبِّر علاجًا. نصلِّي أن تخلِّصنا — نحن خليقتَك المسكينةَ والعاجزة — من هذه الأحزان.

نصلِّي، يا ربُّ أيضًا ألَّا تضيِّع بؤسَنا وحزنَنا هباءً، بل نقِّ شعبَك من انشغالهم المتخاذِل بالفكر المادِّيِّ العقيم، وباللهو والتسلية بعيدًا عن المسيح. لا تسمَحْ لأفواهنا بأن تنجذبَ إلى طُعم الشيطان وتلتقطه. واخلَعْ عنَّا جذورَ الكبرياء والكراهية والظلم وبقاياها. أعْطِنا أن نثورَ على استهانتنا واستخفافنا بمجدك، وافتَحْ عيونَ قلوبنا كي ترى جمالَ

المسيح وتذوقَه. أَمِلْ قلوبَنا إلى كلمتك، وإلى ابنك، وإلى طريقك. املأْنا بشجاعةٍ رحيمة. واصنعْ لنفسك اسمًا بواسطة خدمة شعبك.

مُدَّ يدَك لتُجريَ صحوةً عظيمةً من أجل هذا العالم الهالك. لا تدَعِ الكلماتِ الرهيبةَ لسفر الرؤيا تُنطَق على هذا الجيل: «وَلَمْ يَتُوبُوا عَنْ أَعْمَالِهِمْ». فكما ضربتَ الأجساد، اضرب الآن الأرواحَ الغافية. لا تسمَحْ بأنْ تظلَّ نائمةً في ظلام الكبرياء وعدم الإيمان. بل برحمتك العظيمة، قُلْ لهذه العِظام: «عيشي!» وأعِدْ قلوبَ الملايين وحياتهم إلى تناغُمها مع القيمة غير المحدودة للمسيح.

بِاسْم يسوع المسيح، آمين.

# الملاحظات

١ يُعرَف هذا الوباء باسْم «الإنفلونزا الإسبانيَّة»، وقد بدأ ما بين الجنود المقاتلين في الحرب العالميَّة الأولى. وكانت الصحافة الإسبانيَّة هي أوَّل مَن كشفَ عن الوباء، فسُمِّي بالإنفلونزا الإسبانيَّة رُغم أنَّه لم يبدأ في إسبانيا (الناشر).

2 "1918 Pandemic (H1N1 Virus)," updated March 20, 2019, Centers for Disease Control and Prevention, https://www.cdc.gov/flu/pandemic-resources/1918-pandemic-h1n1.html.

٣ ويُسمَّى أيضًا العلاج المثليّ، وهو نظام علاجيٌّ وشكلٌ من أشكال الطبِّ البديل يستند إلى المبادئ التي صاغها صامويل هانيمان عام ١٧٩٦م. ويعتمد هذا العلاج على قانون أبقراط في الطبّ، والذي يقول: المثل يعالج المثل. تنصُّ نظرية المعالجة المثليَّة على أنَّ المريض يمكنُ أن يُشفى باستخدام كمِّيَّات ضئيلةٍ من المواد التي تسبِّب في جسم الشخص السليم أعراضًا مشابهةً لأعراض مرض الشخص المصاب (الناشر).

٤ قد يبدو هذا التعبير غريبًا، لكنَّ المؤلِّف سيوضحُ المقصودَ به في الفصل الرابع (الناشر).

5 Henry Martyn, *Journals and Letters of Henry Martyn* (New York: Protestant Episcopal Society, 1861), 460

6 Martyn, *Journals and Letters*, 210.

7 John Lennon, "Imagine," produced by John Lennon, Yoko Ono, and Phil Spector, Abbey Road, London, 1971.

8 C. S. Lewis, "The Weight of Glory," in *The Weight of Glory and Other Addresses* (1949; repr., New York: Harper, 2009), 26.

9 Rodney Stark, *The Triumph of Christianity: How the Jesus Movement Became the World's Largest Religion* (New York: Harper, 2011), 113.

10 Stark, *Triumph of Christianity*, 115.

11 Stark, *Triumph of Christianity*, 112.

12 Stark, *Triumph of Christianity* 116.

13 Stark, *Triumph of Christianity* 117.

14 Stephen Neill, *A History of Christian Missions*, 2nd ed. (New York: Penguin, 1986), 37–38.

15 Herbert Schlossberg, *Called to Suffer, Called to Triumph* (Portland, OR: Multnomah, 1990), 230.